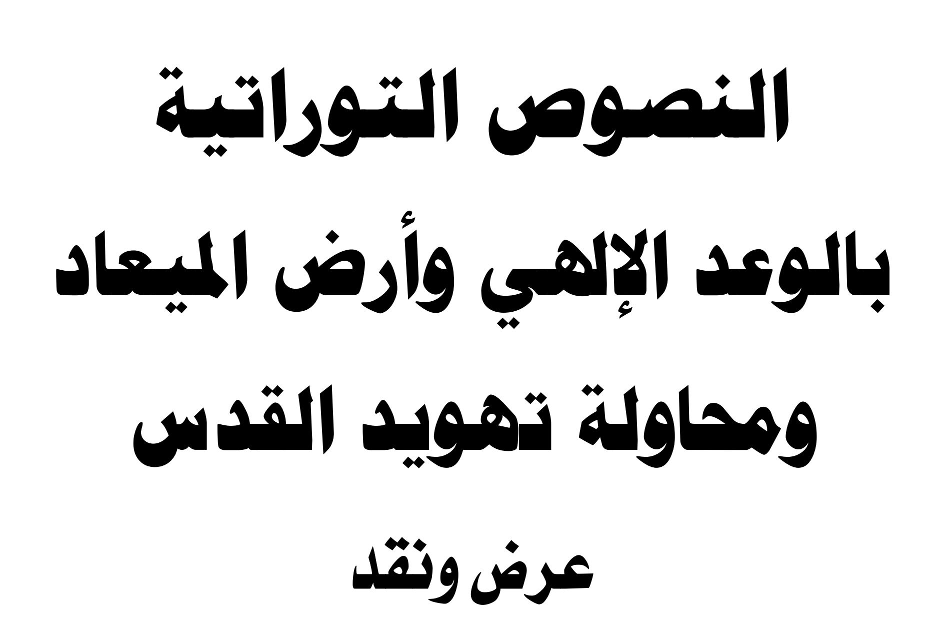


النصوص التوراتية بالوعد الإلهي وأرض الميعاد ومحاولة تهويد القدس

عرض ونقد

د. أبو بكر عبد المقصود محمد كامل

أكاديمي مصري، أستاذ مساعد بكلية الشريعة وأصول الدين، جامعة نجران بالسعودية، وكلية أصول الدين والدعوة، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا

ملخص البحث

حرّف اليهود ما في التوراة من تعاليم ونصوص بغية الاستيلاء على أرض فلسطين وغيرها، وحذفوا ما جاء عن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بخصوص الوعد، مع أنه الابن البكر، وإن ما في التوراة عن حدود أرض إسرائيل قد تلاعبت به العقول، وحرفته أيديهم على امتداد سبعة قرون.

كما اعتقد اليهود بأن الله قد أمرهم بإزهاق الأرواح، وسفك الدماء في سبيل تحقيق ما فيه مصلحة بني إسرائيل دون العالمين، وزوّر اليهود حقائق التاريخ القديم لتتمشى مع أطماعهم وأحلامهم، باسم تفويض الرب إياهم، أو اختياره لهم، وإن فكرة إقامة دولة يهودية، أو مملكة إسرائيلية راودت عقول يهود السبي البابلي، فحرفوا وبدلوا النصوص؛ لتوافق خيالهم المريض، وإنه لا حقّ لليهود تاريخيًّا في فلسطين، يشهد بذلك ما يلي:

أ-أن إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وبني إسرائيل الأُوّل (الأسباط)، كانوا طارئين عليها، وقد عاشوا فيها غرباء.

ب-أن الوجود اليهودي في فلسطين لم يزد على أربعة قرون، وهي فترة لا تحسب شيئًا في عمر الزمن.

ج-أن اليهود قد تعرضوا للإبادة (القتل والأسر) على أيدي الكثير من الأمم المجاورة كالآشوريين، والمصريين، والبابليين، وأخيرًا بالرومان الذين لم يُبقوا في المدينة من اليهود أحدًا.

د-أن الوعد الإلهي (من النيل إلى الفرات) الذي ادَّعَوه لم يكتب له

التحقيق، والتنفيذ طوال التاريخ من إبراهيم حتى سليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، بل حتى إلى عصرنا هذا، وإذا كان النص الأصلي صحيحا فإن الوعد تحقق بنبي الإسلام وسيد الأنام محمدا ﷺ وبأفضل الأمم وهم المسلمون.

هـ-أن العهد أو الوعد الذي قطعه الرب مع أبرام هو الختان، بنص التوراة التي بين أيديهم.

- لا تقف المطامع الصهيونية عند حدود أرض فلسطين، بل تتطلع دومًا إلى قيام دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

- لا تمثل الصهيونية الحديثة الديانة اليهودية، بل هي نزعة سياسية استعمارية عنصرية تتخذ من التعاليم الدينية قناعًا للتمويه والتضليل.

- لم تكن قداسة أرض فلسطين لارتباطها بصهيون، أو علاقتها بالمسيح يسوع، بل لأنها منبت عقيدة التوحيد، ومن ثم طهارتها من مظاهر الشرك والوثنية، علمًا بأن هذه الطهارة ممتدة إلى يوم القيامة، وأن الوعد الإلهي بالإرث والتمكين في هذه الأرض المباركة من ثمرات الإيمان الصحيح، وقد تحقق لهذه الأمة الخاتمة، وأن ملكية المسلمين لهذه الأرض المقدسة حق مشروع بمقتضى إيمانهم بالرسالة الخاتمة؛ لإقامة دين الله فيها من جهة، والحفاظ على ميراث الأنبياء المسلمين السابقين من جهة أخرى يشهد بذلك التاريخ، والقرون الماضية.

د. أبو بكر عبد المقصود محمد كامل
abobkr75@yahoo.com

The Texts in the Torah about the Divine Promise and the Promised Land and the Judaization of Jerusalem

Dr. Abu Bakr Abdul Maqsud Mohammad Kamil

Egyptian academic, assistant professor in the College of Sharia and Theology in Najran University, and assistant professor in the College of Theology and Da'wah in al-Madinah International University, Malaysia

Abstract

The Jews distorted the texts and the teachings in the Torah seeking to reign over the land of Palestine and other than it, and they removed parts of the Torah pertaining to Ismael about The Promise, even though he was the elder son. They have played with the minds for over seven centuries about what is mentioned in the Torah concerning the land of Israel boundaries.

The Jews also believed that Allah had ordered them to slaughter people and spill blood in order to achieve what benefits the children of Israel without concern for other than them. And they falsified the truths about the old history so that it coincides with their desires. All this, in the name of what they perceived as the Lord's will, and that He has chosen them. The idea of establishing a Jewish state or an Israeli Kingdom is something that the minds of the Jewish prisoners of Babylon were infatuated with, therefore they distorted the texts so that they agree with their twisted visions. There's no historic right for Jews over the land of Palestine as is evidenced by the following:

i) Ibrahim (Abraham), Ishaq (Isaac), Ya'qub (Jacob) and his sons, came upon this land and lived therein as outsiders.

ii) The Jewish presence in Palestine didn't extend beyond four centuries - a negligible period amongst the ages.

iii) The Jews faced killing and persecution at the hands of many from amongst their neighbouring nations such as the

Assyrians, the Ancient Egyptians, the Babylonians and finally the Romans who didn't leave a single Jew in the city.

iv) The divine promise (the promised land - from the Nile river to the Euphrates river) that the Jews claimed was not materialised over the course of history - from the time of Ibrahim until the time of Sulayman, rather even until now. If the text was correct then this promise would have been realised by the prophet of Islam and leader of mankind, Muhammad (may Allah exalt his mention and send peace on him), and by the best of nations - the Muslims.

v) The promise that the Lord gave to Ibrahim was circumcision according to the very text of the Torah.

The visions of the Zionists do not stop at the borders of Palestine. Rather, they will persist until a Jewish state between the Nile and the Euphrates is reached.

Zionism does not represent Judaism. Rather, it's a political, imperial, discriminatory offshoot taken from the religious teachings and camouflaged by intentional misleading and misdirection.

The sacrosanctity of the land of Palestine is not due to its link with Zion or its link with Isa (Jesus), but rather, it owes this to the fact that it is a source of monotheistic faith, and secondly it's purity from the symbols of polytheism and idolatry. Bearing in mind that this purity will remain until the Day of Resurrection and that the divine promise of obtaining this blessed land is from the fruits of the correct belief. The dominion of the Muslims over these holy lands is a legislated right - owing to their belief in the final message (from Allah) - so that they may establish the religion of Allah on one hand, and so that they may preserve the heritage of the preceding Muslim prophets on the other hand. The history and the old generations bear witness.

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فلقد أحبّ الله تعالى من خلقه أشياءَ وكرّمها وشرّفها، وندبنا إلى حبها وتقديسها وتشريفها، كالملائكة، والنبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وأحبّ سبحانه من مخلوقاته أزمانًا وفضّلها، وأمرنا بحبها وتكريمها وتفضيلها كشهر رمضان وليلة القدر، ويوم النحر ويوم الجمعة والثلث الأخير من الليل.

وأحبّ الله عزّ وجل من مخلوقاته أماكن وقدّسها، وأمرنا بحبّها فأحب مكة المكرمة، وكعبتها المشرفة وقدسهما، وأحب المدينة المنورة ومسجدها وقدسهما، وأحب بيت المقدس ومسجدها الأقصى وقدسهما، ونحن نحب مِن خلق الله ما أحبه الله، ونختار من مخلوقاته ما اختاره الله وما اصطفاه.

ولأن الصراع والنزاع بين أهل الحق وأتباع الباطل متصل غير منقطع، ودائم لا يتوقف ما دامت السماوات والأرض إلّا ما شاء ربك، الأمر الذي دفعني إلى أن أكتب هذه الدراسة التي تعالج قضية مكان مبارك أحبه الله وقدسه، وأحبه أنبياء الله وأولياؤه وقدسوه، ذلكم المكان المطهر هو بيت

المقدس والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله.

أهمية الموضوع:

إن بيت المقدس هي الأرض المقدسة، وهي البقاع الطيبة المباركة، مهد الرسالات، وأرض الأنبياء، والشهداء، والحواريين، والصحابة، والأتقياء، مهبط الملائكة، أرض الرباط الدائم، والجهاد المتواصل إلى قيام الساعة ولا غرو!

أجل! فقد ارتبطت بالدين عقيدة وحضارة، وتكالبت عليها القوى عبر مراحل التاريخ، وما زالت مسرحًا للأحداث الخطيرة والكبيرة، ومن هنا فإن قضية فلسطين ومسجدها هي قضية الأمس واليوم والغد، ومن ثَـمّ فالدفاع عنها دفاع عن الإسلام، ومقدسات ومصير أمّة الإسلام؛ فهي الأرض التي جمعت بين خيري الدنيا والآخرة؛ أرض المحشر والمنشر يوم يقوم الناس لرب العالمين(١). وهي أرض الرسالات، ومهد النبوات، أرض هجرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، جمعت بين الرسالات الثلاث. وبها:

المسجد الأقصى: الذي بارك الله حوله، أولى القبلتين في صلاة المسلمين أتباع سيدنا محمد ﷺ، وثاني المسجدين في الأرض قاطبة، مع المسجد الحرام بمكة، وثالث ثلاثة مساجد تُشدُّ إليها الرحال مع المسجد

---

(١) لحديث مَيْمُونَةَ مَوْلاَةِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ، ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ... الحديث رواه ابن ماجة في سننه (٢/ ٤١٣)، والبزار في مسنده (٩/ ٣٨٢)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٥٢٣).

الحرام ومسجد الرسول ﷺ بالمدينة، أُسري بنبينا محمد ﷺ إليه، وصلّى فيه إمامًا بالأنبياء، وربط البراق في حلقة من حوائطه، بشَّر النبي ﷺ بفتحه، ورغبَّ في زيارته وإتيانه وإرسال الزيت ليُسرج فيه، وأخبر ﷺ أن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي، ووصفه لأهل مكة وقد أراه الله إياه ينظر إليه، تسلّم عمر بن الخطاب مفاتيحه، وكتب عهد الأمان لسكان مدينته، دخله عمر من الباب الذي دخل منه النبي ﷺ ليلة الإسراء، وصلّى في مقدمة المسجد في محراب داود، وطهّر الصخرة من القمامة، اعتنى به الخلفاء الراشدون، والأُمويون، والعباسيون، ومَن بعدهم، حتى سقط في يد الاحتلال الصليبي في شعبان ٤٩٢هـ/ يونيو ١٠٩٩م، فقتلوا نحوًا من سبعين ألفًا، وخرّبوا أثاث المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وظلُّوا يشيعون فيه الفساد إحدى وتسعين سنة إلى أن أذِن الله بتحريره على يد صلاح الدين الأيوبي في رجب ٥٨٣هـ/ ١١٩٢م، وظلّ في رعاية المسلمين حتى الدولة العثمانية، وخلافتها الإسلامية حتى دبّ المرض في جسدها، وانتشر الضعف بين ولاياتها، فلقبت بالرجل المريض، وتحالفت دول الغرب مع الصهيونية لإنشاء وطن قومي يجمع شتاتها لمّا ضعفت الدولة العثمانية، وأُلغيت الخلافة الإسلاميّة.

وعقدت المؤتمرات وشكّلت المنظمات للعودة -في تصورهم- (إلى أرض الميعاد، وميراث الآباء المنحة الإلهية، ومسكن الحضرة الربانية)، وكانت هذه في أذهانهم أحلامًا سرعان ما تجسّدت حقائقَ عندما أُعطوا وعد بلفور ١٩١٧م بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، وكانت هذه هي البداية،

فشجعوا الهجرات اليهودية، وكان الإرهاب الصهيوني بالإمداد الغربي حتى احتلوا القدس والضفّة الغربية في ١٩٦٧م، ومن وقتها لعبت أصابع الصهيونية في بنيان ومقدسات الساحة المطهرة، التي تشمل المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، والمسجد العمري، فكانت الحفريات، والتنقيبات، وحريق المسجد الأقصى ١٩٦٩م؛ لمحاولة هدمه وتقويضه لإقامة هيكلهم المزعوم.

الدراسات السابقة:

لقد ألفت في موضوع أرض الميعاد كثير من المؤلفات تتناول الجوانب والأبعاد السياسية، وهل هي حقيقة أم أسطورة، وكيف خطط الصهاينة لهذا الموضوع وساعدتهم القوى الغربية، كأرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة، وحمى سنة ٢٠٠٠، وهل سيهدم الأقصى، وغيرها، لكن الجديد في هذا البحث أنه قد تتبع كل النصوص التوراتية المتعلقة بالوعد الإلهي في العهد القديم والجديد، وقمت في هذا البحث بتفنيد هذه الوعود من خلال تفنيد هذه الوعود من العهد القديم نفسه والعهد الجديد والقرآن والسنة، ومن الجانب التاريخي أيضًا والقانوني والأثري؛ ليصل البحث في النهاية إلى النتائج التي توصلت إليها والمدونة في نهاية الفصل.

وقد جاء هذا البحث في فصلين:

الفصل الأول: ادعاء اليهود الوعد الإلهي (أرض الميعاد) ومحاولة تهويد القدس.

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: الوعد الإلهي من إبراهيم حتى سليمان عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ.

المبحث الثاني: الشروط الإلهية للوعد الإلهي (أرض الميعاد) لبني إسرائيل.

المبحث الثالث: الغاية والهدف من تملك اليهود أرض الميعاد.

المبحث الرابع: قدسية أرض الميعاد وترابها في تصورات اليهود.

المبحث الخامس: الوعد الإلهي وأرض الميعاد في فكر وعقيدة اليهود.

الفصل الثاني: مناقشة النصوص التوراتية بالوعد الإلهي وأرض الميعاد.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب الديني.

المبحث الثاني: مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب التاريخي.

المبحث الثالث: مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب القانوني.

المبحث الرابع: مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب الأثري.

الخاتمة: وتشمل، أهم المراجع ونتائج البحث والفهرس.

الفصل الأول
ادعاء اليهود الوعدَ الإلهي بأرض الميعاد ومحاولة تهويد القدس

ويشتمل على خمسة مباحث:

- **المبحث الأول: الوعد الإلهي من إبراهيم حتى سليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.**
- **المبحث الثاني: الشروط الإلهية والوصايا الربانية المرتبطة بالوعد الإلهي.**
- **المبحث الثالث: الغاية والهدف من الوعد الإلهي وحدود أرض الميعاد.**
- **المبحث الرابع: قدسية أرض الميعاد وترابها عند اليهود.**
- **المبحث الخامس: أرض الميعاد في فكر وعقيدة اليهود المعاصرين.**

المبحث الأول

الوعد الإلهي من إبراهيم حتى سليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ

- **تمهيد**

لقد زعم اليهود أن الله قد أعطاهم ما يسمونه أرض الميعاد هبة مقدسة منه، كما زعموا أنهم شعب الله المختار، معتمدين في ذلك على نصوص من العهد القديم.

ومن هنا باتت الصهيونية الحديثة تحلم بإقامة إمبراطورية يهودية عالمية تحكم العالم، وتستعبد الشعوب الإسلامية والنصرانية على السواء، معتمدين في ذلك على ما نسجته أسطورة أرض الميعاد من نسيج حاكته من سحب الماضي المتوغل في القدم، وجعلت سَداه عقيدة الأرض الموعودة، ولُحمته بتغلغل هذه العقيدة، ورسوخها في صدور كل فرد من أفراد الجالية اليهودية.

وهذه العقيدة سواء أخفاها كل فرد من أفراد اليهود – اتقاءً وتسترًا –، أم جهر بها –تيهًا وتفاخرًا– هي القائلة بأن فلسطين هي منحة إلهية وملك أبديّ؛ لتكون عاصمة لمملكة يهودية تشمل قاعدتها كل الرقاع المترامية من النيل إلى الفرات[1]، وقد قالها هرتزل[2] (١٨٦٠–١٩٠٤م) وليد الصهيونية البابلية،

(١) أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة.د/ محمد بيومي مهران، صـ١٢.

(٢) تيودور هرتزل (١٨٦٠–١٩٠٤) صحفي يهودي نمساوي مَجَرِيٌّ، مؤسس الصهيونية المعاصرة، التحق هرتزل بكلية القانون وبدأت تتشكل أفكار هرتزل الصهيونية بالتفكير في المشكلة اليهودية، وألف كتاب: دولة اليهود الذي نشر سنة ١٨٩٦، والذي وضع =

ومؤسس الصهيونية الغربية:

«قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسي أو قانوني أو تاريخي، ولكنها حق لنا على أساس حق ديني وروحاني»[1]، ومن ثم فالمشكلة دقيقة وحرجة؛ ذلك لاستناد الفكر الصهيوني في دعوته إلى المصدر الديني المحض ولاستمداد مادته من المدد العاطفي البحت، بل لاعتماد الصهيونية العالمية اعتمادًا كليًا على هذين المصدرين مستهدفة من وراء ذلك امتلاك العالم عن طريق فلسطين أولًا، ومن بعدها بلاد الشرق الأوسط؛ لتقيم على أنقاضها الإمبراطورية اليهودية التي حلم بها (تيودور هرتزل) وليد الصهيونية البابلية والتي رسم رقعتها علي صفحات كتابه «الدولة اليهودية»، والذي صدر عام (١٨٩٦م)، والذي كان دون ما ريب حجر الأساس في افتعال دولة إسرائيل، وجرَّ على العالم هذه الجريرة بجرة قلم واحدة جاءت تقول: «إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ننساه»[2].

ولم يكن هذا الكتاب شطحات فكرية، بل كان دليلًا للعمل الصهيوني، وآمنت الحركة الصهيونية بمضمونه، واعتبرته دستورًا لمستقبلها، وسارت على

=

حجر الأساس لظهور وتأسيس الحركة الصهيونية بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية ١٨٩٧ وانتخاب هرتزل رئيسًا للمنظمة الصهيونية العالمية. بعد ذلك بدأ هرتزل عدة مباحثات مع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠١، بحثا عن مؤيدين للمشروع الصهيوني.

(١) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبكار السقاف، صـ٣٥٨.

(٢) أرض الميعاد بين الحقيقية والأسطورة.د/ محمد بيومي مهران، صـ١٤٠.

خطى أفكاره حتى تم بناء الدولة اليهودية.

وقد قال بِنْ جُوريون[1] في تل أبيب في مارس سنة ١٩٤٢م: «إن الصهيونية قد انتهت من وضع خطتها النهائية، وهو أن تصبح فلسطين دولة يهودية، وأن اليهود لن يستغنون عن أي قسم من فلسطين حتى قمم الجبال وأعماق البحار»[2].

يقول هرتزل في كتابه (الدولة اليهودية): «إن الدولة اليهودية ضرورية للعالم، ولذلك سوف تقوم، لعلَّ شبابنا الطموح -وقد أصبح كلُّ طريق أمامه للتقدم مغلقًا- يرى هذه الدولة اليهودية مستقبلًا مشرقًا بالحرية والسعادة مفتوحًا أمامهم، فيحرص على نشر الفكرة، وإن نجاح الفكرة يعتمد فقط على عدد مؤيديها، وإن اليهود الذين يريدون الدولة اليهودية ستكون لهم وسوف يستحقونها، وإن فكرة استعادة الدولة اليهودية موغلة منذ القدم، والعالم يردد صيحات صاخبة ضد اليهود، وهذه الصيحات هي التي أيقظت الفكرة من سباتها»[3].

---

(١) بِنْ جوريون: ولد ديفيد بِنْ جُوريون في بولنسك (بولندا الآن) التابعة لروسيا عام ١٨٨٦م. وصف نفسه أنه صهيوني منذ ولادته، فمنذ الثالثة من عمره بدأ يتعلم العبرية وفي ذلك الوقت استمع من والده عن (أرض إسرائيل)، وهكذا تعلم بِنْ جُوريون من والده حبًّا واحدًا هو حب صهيون.. وعندما كان في الرابعة عشر من عمره عام ١٩٠٠ أسس مع اثنين من رفاقه الرابطة الشبيبة (عيزرا). توفي ديفيد بن غوريون سنة ١٩٧٣م إثر جلطة دماغية، عن عمر ناهز ٨٧ عاما.

(٢) أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة.د/ محمد بيومي مهران، صـ١٢.

(٣) الدولة اليهودية. تيودور هرتزل، صـ٤٥.

ويناشد (هِرْتِزل) اليهود، ويستنهض هممهم، ويستحث عزائمهم، فيناديهم قائلًا:

«فيا إخواننا من اليهود هذه هي أرض الميعاد لا أسطورة هي ولا خرافة، وكل إنسان يستطيع أن يختبر حقيقتها بنفسه؛ لأن كل إنسان يحمل معه قطعة من أرض الميعاد بعضُها في رأسه، وبعضُها بين ذراعيه، وبعضها في ملكيته المكتسبة.

إن اليهود الذين يريدون الدولة اليهودية ستكون لهم، وسوف نحيا أخيرًا رجالًا أحرارًا على أرضنا وسنموت بسلام في بيوتنا، وسوف يتحرر العالم بتحررنا، ويغتني بثروتنا ويعظم بعظمتنا»[(١)].

إن المنطق الصهيوني العالمي الذي يرسل اليوم على مسمع العالم فحيحه سعيرًا يصيح: (إن فلسطين هي أرض اليهود) الذين يعتبرون أنفسهم سلالة إسرائيل، وأنهم مهما تباينت جنسياتهم، واختلفت أصولهم عبريون.

• المطلب الأول: الوعد الإلهي وأرض الميعاد مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

إنَّ زعم الصهيونية وادّعاءها الحق في امتلاك فلسطين إنما هو حجة لا تقوم إلا على أساس مِن القول بأن أرض فلسطين هي الوطن التاريخي لبني إسرائيل، وأنها قد مُنحت لهم منحةً إلهية أبدية، وأنها وعدٌ -في زعمهم- منَّ الله به عليهم، اعتمادًا على قدسية التوراة عند المؤمنين بها.

---

(١) الدولة اليهودية. صـ١٣٢.

ولتكن بدايتنا مع الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي ينسب إليه اليهود أسطورة وعدهم المقدَّس، وتحدثنا التوراة أن إبراهيم قد خرج من حاران، وأخذ معه ساراي امرأته، ولوطًا ابن أخيه، وكل مقتنياتهم، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى أرض كنعان، واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم(١) إلى بلوطة مورة(٢)، وكان الكنعانيون هناك: «فأخذ أبرام ساراي امرأته، ولوطا ابن أخيه، وكل مقتنياتهما التي اقتنيا، والنفوس التي امتلكا في حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لأبرام، وقال: لِنَسلِكَ أُعطي هذه الأرضَ، فبنى هناك مذبحًا للربِّ الذي ظهر له»(٣).

ففي هذا النص وعد لإبراهيم في بلوطة مورة.

- **المطلب الثاني: بداية حدود الأرض الموعودة لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ**

لأول مرة تحدثنا التوراة أن جزءًا محددًا من فلسطين قد أصبح هو الأرض الموعودة: «وظهر الرب لأبرام، وقال: لنَسلِك أُعطي هذه الأرض،

---

(١) شَكيم: اسم عبري معناه: كتف أو منكب، وهي مدينة لها سور، عند سفح جبل جرزيم على أرض افرايم المرتفعة. قاموس الكتاب المقدس صـ ٢١٠.

(٢) بلوطة مورة: اسم كنعاني معناه: بلوطة المعلم وهو موضع بقرب شكيم وجبل عيبال وجزيم مرجع سابق صـ٣٢٠.

(٣) سفر التكوين: ١٢/ ٥-٧.

فبنى هناك مذبحًا للرب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل[(١)] ونصب خيمته، فبنى هناك مذبحًا للرب، ودعا باسم الرب، ثم ارتحل أبرام ارتحالًا متواليًا نحو الجنوب»[(٢)]، ويبقى إبراهيم ما شاء الله له أن يبقى في أرض كنعان، ثم يرحل عنها إلى أرض النيل بسبب مجاعة حلت بأرض الكنعانيين: «وحدث جوع في الأرض، فانحدر أبرام إلى مصر؛ ليتغرّب هناك»[(٣)] حيث يبقى في أرض الكنانة حينًا من الدهر يعود بعدها، وقد أفاء الله عليه من خيرها.

ويستقر إبراهيم في أرض كنعان ومع وعد إلهي جديد: «وقال الرب لأبرام: ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالًا وجنوبًا، وشرقًا وغربًا؛ لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أُعطيها ولنَسلِك إلى الأبد»[(٤)].

وفي سفر التكوين يوجد نصٌّ يزيد في رقعة الأرض: «قم امش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها، فنقل أبرام خيامه، وأتى وأقام عند بلوطات

---

(١) بَيْت ايل: اسم عبري معناه -بيت الله-، نصب أبرام خيمته في الأراضي المرتفعة قرب بيت إيل، ورأى هناك رؤياه العظيمة، فدعا اسم المدينة حينئذ بيت ايل، وذلك لأن الله ظهر له في تلك الليلة، أما موقع المدينة فإلى شرقي خط يمتد من أورشليم إلى نابلس على بعد واحد من كلتا المدينتين، وكانت قديماً محل إقامة ملوك الكنعانيين. قاموس الكتاب المقدس صـ ٨٠.

(٢) سفر التكوين: ١٢/ ٧-٩.

(٣) سفر التكوين: ١٢/ ١٠.

(٤) سفر التكوين: ١٣/ ١٤، ١٥.

مَمْرا التي في حبرون، فبنى هناك مذبحًا للرب»[١]، ويشكو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ربه أنه ليس له وارث من صلبه، وأن الذي سيرثه إنما هو إليعازر الدمشقي[٢] (أمين داره): «فإذا كلام الرب إليه قائلًا: لا يرثك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك، ثم أخرجه إلى خارج، وقال: انظر إلى السماء وعُدَّ النجوم إن استطعت أن تعُدَّها، وقال له: هكذا يكون نسلُك»[٣]، ثم ينتقل الحديث من الوعد إلى الميثاق؛ ليزيد من رقعة الأرض الموعودة إلى مساحات شاسعة: «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلًا: لنَسلِك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[٤].

وهذا النص بالأخص يُعتبرُ الأساسَ الدينيَّ لمطلب اليهود بفلسطين، وإلى السموم التي ينفثها متعصبة اليهود من أن دولتهم الموعودة لا بدَّ أن تشمل كل البقاع، حتى اتخذوا من هذا النص: «**هذه أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل**» شعارًا لهم على الكنيست[٥]، ويحقق الرب وعده لأبرام، فيهبه نسلًا من زوجته هاجر المصرية: «فولدت هاجر لأبرام ابنًا، ودعا أبرام

(١) سفر التكوين: ١٣/ ١٧، ١٨.

(٢) لعازر: اسم عبري وهو مختصر اليعازر من يعينه يهوه. المسكن المذكور في مثل الغني والمسكين وعند موتها رفع المسكين إلى حضن إبراهيم وأما الغني فذهب إلى الهاوية أي جهنم. قاموس الكتاب المقدس صـ٣٢٠.

(٣) سفر التكوين: ١٥/ ٤٥.

(٤) سفر التكوين: ١٥/ ١٨.

(٥) أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة. د/ محمد بيومي مهران.صـ١٨.

اسم ابنه الذي ولدته هاجر: إسماعيلَ»[١].

واقترن الوعد بمولد إسماعيل فهو الذي أشارت إليه التوراة بقولها: «الذي يخرج من أحشائك هو يرثك»[٢]، وهذا النص لا ينطبق إلا على إسماعيل؛ لأن إبراهيم حتى هذه المرحلة ولمدة أربع عشرة سنة أخرى بعد ذلك لم تكن له ذرية سوى إسماعيل فقط.

ثم ظهر الرب بعد ذلك لإبراهيم ليعقد معه عهدًا: «فاجعل عهدي بيني وبينك، وتكون أبًا لجمهور من الأمم، فلا يُدعى اسمُك بعدُ أبرامَ، بل يكون اسمك إبراهيم، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلِك من بعدك في أجيالهم عهدًا أبديًّا، وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرضَ غُربتك؛ كلَّ أرض كنعان مُلكًا أبديًّا وأكون إلههم»[٣]، والعهد الذي أوجبه الربُّ على إبراهيم هو الختان: «هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم: ابن ثمانية أيام يختن منكم؛ كلُّ ذكر»[٤].

• المطلب الثالث: الوعد الإلهي أرض الميعاد مع إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

تحوّل الوعد من إبراهيم ونسله الوحيد إسماعيل في التوراة إلى إسحاق الذي لم يكن الابنَ الموعود، فضلًا عن أن يكون الابن الموجود: «وقال

---

(١) سفر التكوين: ١٦/ ١٥.

(٢) سفر التكوين: ١٥/ ٤.

(٣) سفر التكوين: ١٧/ ٢٨.

(٤) سفر التكوين: ١٧/ ١٠.

إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنًا وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهدًا أبديًّا لنسله من بعده، وأمّا إسماعيلُ فقد سمعتُ لك فيه، ها أنذا أباركه وأُثْمِره وأُكَثِّرُهُ كثيرًا جدًّا وأجعلهم أمة كبيرة، ولكن عهدي أقيمُ مع إسحاق الذي تلده لك سارةُ في هذا الوقت في السنة الآتية»[١]، وهكذا نجد في سفر التكوين استبعاد إسماعيل وأبنائه من بعده من حقوق الوعد الذي تلقّاه إبراهيم من الله تعالى، وفيه إشارة إلى أن البكر هو إسماعيل وليس إسحاق، ومن البديهي أن التوراة حرمت من الوعد كذلك أبناء إبراهيم من قطورة الكنعانية: «وعاد إبراهيم فأخذ زوجةً اسمها قطورة، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان وبشباق وشوحا»[٢].

وهكذا جاء الحرمان من الوعد الإلهي على كل أبناء إبراهيم ما عدا إسحاق: «وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له، وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم، فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقًا إلى أرض المشرق وهو بعدُ حي»[٣].

وهكذا تجعل التوراة كل أبناء إبراهيم عدا إسحاق أبناء سراري، هذا فضلًا عن أنه إنما يُسبغ على إسحاق وحدَه لقب ابنه؛ أي: ابن إبراهيم، أما بقية إخوة إسحاق من أبناء إبراهيم إنما ينسبهم إلى أمهاتهم، بل لا يدعوهم

(١) سفر التكوين: ١٧/ ١٨-٢١.

(٢) سفر التكوين: ٢٥/ ١٢.

(٣) سفر التكوين: ٢٥/ ٥-٦.

إلا أبناء السراري: «إذا كان لرجل امرأتان؛ إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة، فولدتا له بنين، المحبوبةُ والمكروهةُ، فإن كان الابنُ البكر للمكروهة، فيوم يقسم لبنيه ما كان له؛ لا يحل له أن يقدّم ابنَ المحبوبة بكرًا على ابن المكروهة البكر، بل يعرف ابنَ المكروهة بكرًا؛ ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده؛ لأنه هو أول قدرته، له حق البكورية»[(١)].

وتمر الأيام ويلجأ الإسرائيليون للذهاب إلى جرار بسبب الجوع:

«وظهر له الرب، وقال: لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك تتغرب في هذه الأرض، فأكون معك، وأباركك؛ لأني لك ولنسلِك أعطي جميع هذه الأرض، وأَفي بالقسمِ الذي أقسمت لإبراهيم أبيك من أجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي أوامري وفرائضي وشرائعي، فأقام إسحاق في جرار»[(٢)].

- **المطلب الرابع: الوعد الإلهي أرض الميعاد مع يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ**

تذكر التوراة أن مدّة إقامة بني إسرائيل في مصر هي أيام غربة، وأنهم سيُستعبدون فيها قرونًا أربعة: «ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على أبرام سبات، فقال لأبرام: اعلم يقينًا أنَّ نسلَك سيكون غريبًا في أرض ليست

---

(١) سفر التثنية: ٢١/ ١٥-١٧.

(٢) سفر التكوين: ٢٦/ ١-٥. وجرار: اسم عبري معناه جرة، وهي: مدينة قديمة شهيرة جنوب فلسطين على بعد ثمانية أميال من جنوب شرقي غزة، احتلها الفلسطينيون قديمًا، وهذه المدينة أتى إليها كلٌّ من إبراهيم وإسحاق بسبب الجوع. قاموس الكتاب المقدس: صـ٢٥٤.

لهم، ويُستعبدون لهم، فيُذِلّونهم أربعمِئة سنة، ثم الأمةَّ التي يَستعبدون، أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة، وأنت فتمضى إلى آبائك بسلام، وتدفن بشيبة صالحة»[١].

الرب يظهر ليعقوب في أرض الميعاد «حاران[٢]»:

«فخرج يعقوب من بئر سبع[٣]، وذهب نحو حران، واضطجع في ذلك المكان، وهو ذا الرب، واقفًا ورأى حلمًا؛ وإذا سلمّ منصوبة على الأرض، فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك، وإله إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلِك، وها أنا معك وأحفظُك حيثما تذهب، وأردّك إلى هذه الأرض؛ لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به»[٤].

الرب يظهر ليعقوب حين جاء من فدان أرام (بيت إيل): «وظهر الله ليعقوب حين جاء من فدان أرام وباركه، وقال له الله: اسمك لا يُدعى فيما

---

(١) سفر التكوين: ١٥/ ١٣-١٥.

(٢) حارَان: اسم من أصل أكادي معناه (طريق، قافلة) وهي مدينة بين النهرين، على نهر بليخ، فرع للفرات، وتقع على مسافة ٢٨٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من دمشق. وكانت مركزاً تجارياً، وقد اتخذت إِله القمر إلهاً لها. قاموس الكتاب المقدس صـ ٨٥.

(٣) بئر سَبْع: كلمة عبرية معناها: بئر السبع أو بئر القَسَم دعيت هكذا بسبب إعطاء إبراهيم سبع نعاج لأبيمالك شهادة على حفره إياها، ومن بعده رجع اسحاق إلى نفس الموضع وجدّد البئر، وأطلق اسم البئر على المدينة التي نشأت حولها، وهي تبعد عن حبرون نحو ثمانية وعشرين ميلاً إلى الجهة الجنوبية. قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٥.

(٤) سفر التكوين: ٢٨/ ١٠-١٥.

بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق؛ لك أعطيها، ولنسلِك من بعدك أُعطي الأرض، ودعا يعقوب اسم المكان الذي فيه تكلم الله معه بيت إيل»(١).

يعقوب ينزل مصر: «فارتحل إسرائيل وأتى إلى بئر سبع، وذبح ذبائح لإله أبيه إسحاق، فكلم الله إسرائيل، وقال يعقوب يعقوب، فقال: هأنذا، فقال: أنا الله إله أبيك، لا تخف من النزول إلى مصر؛ لأني أجعلك أمة عظيمة هناك أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا أصعدك أيضًا، ويضع يوسف يده على عينيك، وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم، وأخذوا مواشيهم ومقتنياتهم الذي اقتنوا في أرض كنعان، وجاؤوا إلى مصر، يعقوب وكل نسله معه»(٢).

يعقوب يفارق الحياة ويوصي يوسف ابنه: «وسكن إسرائيل في أرض مصر في أرض جاسان، وعاش في أرض مصر سبع عشرة سنة، ولما قربت أيام إسرائيل أن يموت دعا ابنه يوسف، وقال له: لا تدفعني في مصر، بل أضطجعني مع آبائي وتدفنني في مقبرتهم»(٣)، «وقال يعقوب ليوسف: الله القادر على كل شيء، ظهر لي في لوز أرض كنعان وباركني، وقال لي: ها أنا أجعلك مثمرًا، وأكثّرك وأجعلك جمهورًا من الأمم، وأعطي نسلك هذه الأرض من بعدك ملكًا أبديًا»(٤).

---

(١) سفر التكوين: ٣٥/ ٩-١٥. مختصرًا.

(٢) سفر التكوين: ٤٦/ ١٦.

(٣) سفر التكوين: ٤٧/ ٢٧-٣٠.

(٤) سفر التكوين: ٤٨/ ٣٤.

يوسف يجدد الوصية بالوعد الإلهي: «وسكن يوسف في مصر هو وبيت أبيه، وقال يوسف لإخوته: أنا أموت، ولكن الله سيفتقدكم فيصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلا: الله سيفتقدكم فتُصعدون عظامي من هنا، فحنطوه ووُضع في تابوت في مصر»(١).

- **المطلب الخامس: الوعد الإلهي وأرض الميعاد مع موسى وداود عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ**

تمر الأوقات ويلجأ بنو إسرائيل إلى أرض الكنانة هربًا من قحط أصاب أرض كنعان، وهناك يلقون ضيافة كريمة، فينعمون بخيرات أرض النيل، ولكنهم سرعان ما يقلبون ظهر المجنّ لمن أكرم ضيافتهم، ويرسل الله تعالى نبيه الكريم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى فرعون طالبًا منه إطلاق بني إسرائيل، ويخرج موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ببني إسرائيل من مصر إلى سيناء.

وتعود التوراة لتكرر الوعد الإلهي مع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: فتقول: إن الرب خاطب موسى: «فقال الرب لموسى: الآن تنظر ما أنا فاعل بفرعون، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله على كل شيء، وأيضًا أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها، وأنا أيضًا قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين سيستعبدهم المصريون، وتذكرت عهدي وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق

---

(١) سفر التكوين: ٥٠/ ١٤-٢٢.

ويعقوب، وأعطيكم إياها ميراثًا أنا الرب، فكلم موسى هكذا بني إسرائيل، ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية»[١].

ثم تخص التوراة موسى بالوعد والمكان هو وشعبه وراثةً من بعد الآباء، وتستبعد أصحاب الأرض وسكانها من كنعانيين، وأموريين، وحيثيين، ويبوسيين: «وَقَالَ الرَّبّ لِموسَى: «اذْهَبِ اصْعَدْ مِنْ هنَا أَنْتَ وَالشَّعْبُ الَّذِي أَصْعَدْتَه مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفْت لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقوبَ قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أعْطِيهَا.وَأَنَا أرْسِل أَمَامَكَ مَلاَكًا، وَأَطْرد الْكَنْعَانِيِّينَ وَالأَمورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْيَبوسِيِّينَ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيض لَبَنًا وَعَسَلاً»[٢].

ونعود بالوعد إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث لا يقتصر الوعد مع الآباء فقط، بل هو معهم أيضًا: «ودعا موسى جميع إسرائيل، وقال لهم: اسمع يا إسرائيل الفرائض والأحكام، الرب إلهنا قطع معنا عهدًا في حوريب[٣] ليس مع آبائنا قطع العهد، بل معنا نحن الذين هنا اليوم جميعًا أحياء، وجهًا لوجه تكلم الرب معنا في الجبل من وسط النار»[٤].

---

(١) سفر الخروج: ٦/ ٢٩.

(٢) سفر الخروج: ٣٣/ ١٠.

(٣) حوريب هو سِيناء: اسم جبل يطلق عليه أيضًا جبل حوريب واسم البرية المحيطة بهز ويذكر الكتاب المقدس برية سيناء وجبل سيناء ٣٥ مرة، وفي ١٧ مرة تسمى حوريب وقد قضى العبرانيون عند هذا الجبل سنة في طريقهم من مارَّة والبحر الأحمر. قاموس الكتاب المقدس صـ ١١٥.

(٤) سفر التثنية: ٥/ ١ – ٤.

ويذكر سفر الثنية أن الوعد كان للآباء وذرياتهم من بعدهم خاصة قوم موسى: «وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات انظر قد جعلت أمامكم الأرض، ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم»[١].

ويذكِّر الله عز وجل موسى بنعمه، وأفضاله، وبالعهد الذي منحه إياه، وحذره من نسيان أوامر الرب ووصاياه: «ومتى أتى إلهك إلى الأرض التي حلف لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيك إلى مدن عظيمة لم تبنها وبيوت مملوءة كلَّ خير لم تملأها وآثارًا محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها فأكلت وشبعت، فاحترز لئلا تنسى الرب الذي أخرجك من أرض العبودية»[٢].

أرض الميعاد وداود عَلَيْهِ السَّلَامُ: من ذرية إبراهيم تختار التوراة إسحاق، ومن نسل إسحاق تختار يعقوب، ومن بني يعقوب(إسرائيل) تختار سبط يهوذا، ثم بيت داود لتصل في نهاية المطاف إلى سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «حينئذ في ذلك اليوم جعل داود يحمد الرب، يا ذرية إسرائيل عبده وبني يعقوب مختاريه، هو الرب إلهنا في كل الأرض أحكامه، اذكروا إلى الأبد عهده؛ الكلمة التي أوصى بها إلى ألف جيل، الذي قطعه مع إبراهيم وقسمه لإسحاق، وقد أقامه ليعقوب فريضة، ولإسرائيل عهدًا أبديًا قائلًا: لك أعطي

---

(١) سفر الثنية: ١/ ١٨.

(٢) سفر التثنية: ٦/ ١٠-١٢.

أرض كنعان حبل ميراثكم»[١]. وخاطبهم داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قائلا: «وقد اختارني الرب إله إسرائيل من كل بيت أبي لأكون ملكًا على إسرائيل إلى الأبد؛ لأنه إنما اختار يهوذا رئيسًا ومن بيت يهوذا بيت أبي ومن بني أبي سر بي ليملكني على كل إسرائيل والآن في أعين كل إسرائيل محفل الرب، وفي سماع إلهنا احفظوا واطلبوا جميع وصايا الرب إلهكم؛ لكي ترثوا الأرض الجيدة وتورثوها لأولادكم بعدكم إلى الأبد»[٢].

المبحث الثاني

الشروط الإلهية للوعد الإلهي (أرض الميعاد) لبني إسرائيل

• تمهيد

لقد كان الوعد بأرض الميعاد لبني إسرائيل بشروط ووصايا، وبقاء الوعد لهم مشروطٌ ببقاء صلاحهم والمحافظة على وصايا الرب، وإذا تخلفوا عن وصايا الرب زال عنهم الوعد الإلهي، **وها هي الشروط**: «جميعَ الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم تحفظون لتعملوها؛ لكي تحبوا وتكثروا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم، وتتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة في القفر»[٣].

---

(١) سفر أخبار الأيام الأول: ١٦/ ١٣-١٨.

(٢) سفر أخبار الأيام الأول: ٢٨/ ٤٨.

(٣) سفر التثنية: ٨/ ١٣.

• المطلب الأول: دخول الإسرائيليين أرض كنعان لكثرة إثم أهل كنعان

إن بني إسرائيل ما أمروا بدخول الأرض المقدسة لأنهم شعب الله المختار، كما زعموا؛ وإنما دخلوها بسبب آثام وذنوب تلك الشعوب ولتحقيق خلافة الله في أرضه بإقامة دينه وعبادته سبحانه، جاء في سفر التثنية: «ليس لأجل بِرِّك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك، ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فاعلم أنه ليس لأجل بِرِّك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها؛ لأنك شعب صلب الرقبة»[1].

ورغبهم في العودة إلى حفظ وصاياه والعمل بها: «فالآن يا إسرائيل تعبد الربَّ إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك وتحبه وتسلك في كل طرقه وتحفظ وصايا الرب وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم لخيرك، إنما التصق الرب بآبائك ليحبهم، فاختار من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب»[2].

• المطلب الثاني: بقاء أرض الميعاد والوعد الإلهي بحفظ وصايا الرب

أخبر الله بني إسرائيل أن العهد الذي قطعه معهم لا بقاء له إلا بحفظهم لوصاياه:

«يأمر لك الرب بالبركة في خزائنك، وفي كل ما تمتد إليه يدك، ويباركك

---

(١) سفر التثنية: ٩/ ٦.

(٢) سفر التثنية: ١٠/ ١٢-١٤.

في الأرض التي يعطيها الرب إلهك، يقيمك الرب لنفسه شعبًا مقدّسًا كما حلف لك إذا حفظت وصايا الرب إلهك وسلكت في طرقه، فيري جميع شعوب الأرض أن اسم الرب قد سُمّي عليك ويخافون عليك، ويزيدك الرب خيرًا في ثمرة بطنك وثمرة بهائمك، وثمرة أرضك التي حلف الرب لآبائك أن يعطيك»[1].

وحذرهم الله من الانحراف وعبادة الأصنام، فإن فعلوا ذلك فإنه سيعاقبهم كما عاقب من قبلهم: «إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي؛ فرائضي التي جعلتها أمامكم، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها، فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها، والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي»[2].

«وقال الرب لي: توجد فتنة بين رجال يهوذا وسكان أورشليم قد رجعوا إلى آثام آبائهم الأولين الذين أبوا أن يسمعوا كلامي، وقد ذهبوا وراء آلهة أخرى ليعبدوها، قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدي الذي قطعته مع آبائهم. قال الرب: ها أنذا جالب عليهم شرًّا لا يستطيعون أن يخرجوا منه ويصرخون إليَّ فلا أسمع لهم»[3].

الوصايا العشر:

ذكرت التوراة وصايا الرب والتي تتفق فيها مع جميع الرسالات السماوية

(١) سفر التثنية: ٢٨/ ٨-١١.

(٢) سفر الملوك الأول: ٩/ ٦٩.

(٣) سفر إرميا: ١١/ ١٠-١٢.

الصحيحة: «لا يَكُنْ لكَ آلهةٌ سِواي. لا تصنَعْ لكَ تِمثَالًا مَنحوتًا ولا صورَةَ شيءٍ مِمَّا في السَّماءِ ولا مِمَّا في الأرضِ مِنْ تحتُ. لا تسجدْ لها ولا تَعبُدْها. لا تَحلِفْ باَسْمِ الرّبِّ إلهِكَ باطلًا. اذكُرْ يومَ السَّبتِ وكَرِّسْهُ لي. أكرِمْ أبَاكَ وأُمَّكَ لِيَطولَ عُمرُكَ في الأرضِ التي يُعطيكَ الرّبُّ إلهُكَ. لا تقتُلْ. لا تزْنِ. لا تسرِقْ. لا تشهَدْ على غيرِكَ شَهادَةَ زُورٍ. لا تشتَهِ بيتَ غيرِكَ. لا تشتَهِ امرَأةَ غيرِكَ ولا عبدَهُ ولا جاريَتَهُ ولا ثَورَهُ ولا حِمارَهُ ولا شيئًا مِمَّا لهُ»[1].

• المطلب الثالث: الوعد الإلهي في العهد الجديد وتحذيرات المسيح

«لما كانت أمة النصارى قد ورثت أمة اليهود، فإن النصارى نظروا إلى أنفسهم على أنهم الشعب المختار الثاني، فهم كانوا من بني إسرائيل أيضًا، وقد نظروا إلى اليهود بعد كفرهم بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على أنهم أمة مرتدة كافرة، ولهذا فهم أولى بوراثة المقدسات من اليهود ومن أجل ذلك فقد ظلوا مدة من التاريخ ينظرون إلى أنفسهم على أنهم ورثة الوعد الإلهي»[2].

ينتظر اليهود مسيحهم الموعود، وكذلك النصارى ينتظرون مسيحًا موعوداً، وكل فريق لا يؤمن بمسيح الآخر، ولما كانت الأهداف مشتركه والنتيجة واحدة هو (حكم العالم من صهيون، ومن الهيكل والبقعة المقدسة) تعاون الفريقان اليهود والنصارى تحت مسمى الصهيونية؛ لتحقيق هذا الهدف المشترك.

(١) سفر الخروج: ٢٠/ ١٨ مختصرًا.

(٢) حمي سنه٢٠٠٠.د/ عبد العزيز مصطفى كامل.صـ٢٣.

وقد ظهر ذلك جليًّا في أثناء الحروب الصليبية، لما جيشت أوربا الصليبية جيوشها لاحتلال القدس والعالم الإسلامي وفق نصوص الوعد الإلهي، وأملًا في حكم العالم من جبل صهيون، وهذه بعض النصوص.

نصوص الوعد الإلهي في العهد الجديد وتحذيرات المسيح:

لقد حذر عيسى قومه من الانحراف عن وصايا الرب حتى لا يطردوا من ملكوت الله: «قال لهم يسوع الحق أقول لكم: إن العشاريين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله؛ لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به، وأما العشارون والزواني فآمنوا به؛ لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم وتعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه»(١).

وتأكيدًا لوعد الآباء ووراثته قال لهم: «فإن كنتم للمسيح فأنتم إذًا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثته»، «فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثًا للعالم، بل ببر الإيمان؛ لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة، فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد؛ لأن الناموس يُنشئ غضبًا إذ حيث ليس ناموسٌ ليس أيضًا تعدٍّ»(٢).

وقد قام بابا الفاتيكان بزيارات إلى الأماكن المسيحية في أور بالعراق، حيث ميلاد إبراهيم صاحب الوعد، ثم إلى جبل الطور الذي كلم الله موسى

---

(١) سفر إنجيل متى: ٢١/ ٤٣-٤٤.

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل غلاطية: ٣/ ٢٩، رسالة بولس إلى أهل رومية: ٤/ ١٤-١٨.

عليه، ثم إلى مدينة بيت لحم حيث ميلاد عيسى، ثم قال: «أشعر برغبة جامحة في الصلاة في تلك المناطق المقدسة التي ترك الله فيها آثاره، والتي كنت أود زيارتها منذ كنت أسقفًا عام ١٩٦٥م»(١).

المبحث الثالث

الغاية والهدف من تملك اليهود أرض الميعاد

• تمهيد

إن من حكمة الله أن يرسل الله لكل أمة نبيًّا بشيرًا ونذيرًا؛ ليبلغهم شرعه ويؤيده الله عز وجل بالمعجزات، ويجعل له حواريين وأنصارًا، ويعده بالنصر والتمكين هو وأتباعه من بعده، وجعل الله الدعوة واجبة على أتباع كل نبي آمنوا به، وحملوا رسالته، وأمرهم أن يسيحوا في الأرض؛ لنشر الدعوة وتبليغ الرسالة، ولكن الوضع يختلف عند بني إسرائيل، فهم يعتقدون أن الله منحهم الأرض ملكًا أبديًا؛ لإبادة البشر لا لدعوتهم وهدايتهم: «وكلّم الرب موسى: كلِّم بني إسرائيل، وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتنحتون جميع تصاويرهم، وتُبيدون كل أصنامهم المسبوكة، وتخربون جميع مرتفعاتهم، تملكون الأرض وتسكنون فيها؛ لأني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها»(٢).

---

(١) جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٥/ ٧/ ١٩٩٩م.

(٢) سفر العدد: ٣٣/ ٥٠-٥٥.

- **المطلب الأول: ضرب الفلسطينيين بالسيف وحرقهم بالنار**

إن اعتقاد اليهود في أرض الميعاد أنهم ملكوها؛ لضرب أهلها بالسيف، وحرقهم بالنار:

«فضربًا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرِّمُها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها، وتحرق بالنار المدينة، وكلَّ أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلًّا إلى الأبد، لا تُبنى بعدُ، ولا يلتصق بيدك شيء من محرم؛ لكي يرجع الرب من حمو غضبه، ويعطيك رحمة ربك، ويكثرك كما حلف لآبائك»(١).

وليحرِّموا البلاد على أهلها ويستعبدوهم: «وأما مدن هؤلاء الشعوب فلا تستبْقِ منها نسمةً ما، بل تحرِّمها تحريمًا الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين واليبوسيين»(٢).

وليحرقوهم: «فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجا راحاب وأباها وأمها وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، أما الفضة والذهب وآنية النحاس جعلوها في خزانة بيت الرب»(٣).

«وأنتم تقومون من المكمن وتملكون المدينة ويدفعها الرب إلهكم، ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تُضرمون المدينة بالنار كقول الرب

---

(١) سفر التثنية: ١٣/ ١٥-١٨.

(٢) سفر التثنية: ٢٠/ ١٢، ١٦.

(٣) سفر يشوع: ٦/ ٢٣-٢٥.

تفعلون، انظروا قد أوصيتكم، ولم يبق في عاي أو في بيت إيل رجل لم يخرج وراء إسرائيل، فتركوا المدينة وسعوا وراء إسرائيل»[١].

• المطلب الثاني: حدود أرض الميعاد

يتمسك اليهود بالنص التوراتي الذي ورد في سفر التكوين لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[٢] على أن هذه الأرض المقدسة ملكهم، وكتبوه على الكنيست الإسرائيلي، وقد صرح بذلك بِنْ جوريون رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق صراحة، فقال: «قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسي أو قانوني، ولكن فلسطين لنا على أساس حق روحاني، فهي الأرض التي وعدنا بها وأعطانا الله إياها».

فما هي حدود هذه الأرض؟ أول حدود الأرض الموعودة، وبدايتها كانت في حاران: «فأخذ إبراهيم ساراي امرأته ولوطًا، وكل مقتنياتهما التي امتلكا في حاران»[٣]، وتمتد أرض الميعاد لتشمل شكيم (نابلس) إلى بلوطة مورة: «واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة وظهر الرب لأبرام، وقال: لنسلِك أُعطي هذه الأرض»[٤].

تجاوزت حدود الأرض الموعودة إلى بيت إيل: «ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل، ونصب خيمته، وله بيتُ إيل من المغرب وظهر

---

(١) سفر يشوع: ٨/ ١٥-١٧.

(٢) سفر التكوين: ١٥/ ٨.

(٣) سفر التكوين: ١٢/ ٥.

(٤) سفر التكوين: ١٢/ ٨.

الرب لأبرام، وقال: لنسلِك أُعطي هذه الأرض»[١].

واتسعت رقعة أرض الميعاد: «لنسلِك أعطي هذه الأرض؛ من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[٢].

وبتحديد أبعاد الأرض الموعودة نعود إلى هذه النصوص: «هذا الكلام الذي كلّم به موسى جميع إسرائيل، في عبر الأردن، في البرية، في العربة، قبالةَ (سُوف) بين (فاران) و(توفل) و(لابان) و(حضيروت) وذي ذهب، أحد عشر يومًا من (حوريب) على طريق جبل سعير إلى (قادش بَرنيع)»[٣].

ففي النص السابق أنّ الحد الشرقي يشمل بعض قرى الأردن.

-وتشمل أرض تركيا ولبنان: «تحولوا ارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين والسهل والجنوب وساحل البحر أرضَ الكنعانيّ ولبنانَ إلى النهر الكبير نهر الفرات، تمتلكون الأرض التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم»[٤].

كما كلّمتُ موسى؛ من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحيثيين، وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس[٥].

---

(١) سفر التكوين: ١٢/ ٩.

(٢) سفر التكوين: ١٥/ ٨.

(٣) سفر التثنية: ١/ ١٢.

(٤) سفر التثنية: ١/ ٥٩.

(٥) سفر يشوع: ١/ ٣-٤.

وتشمل دمشق بسوريا: «وحيٌ من جهة دمشق، هو ذا، دمشق تُزال من بين المدن، ونزول الحصن من أفرايم، والملك من دمشق، وبقية أرام فتصير كمجد بني إسرائيل»(١).

كما تضم الحدود إليها حماة بسوريا: «ومن جبل هور ترسمون إلى مدخل حماة، وتكون مخارج التخم إلى صدد»(٢).

كما تشمل أيضًا شرق الأردن: «فالآن قم اعبر هذا الأردن، أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم؛ أي: لبني إسرائيل، تعبرون الأردن هذا؛ لكي تدخلوا فتمتلكوا الأرض التي يعطيكم الرب إلهكم لتمتلكوها»(٣).

إذًا حدود أرض الميعاد كما في العهد القديم من الفرات في سوريه إلى جنوب العراق إلى النيل شرقًا، وفيه الضفة الشرقية من مصر (سيناء)، والوجه البحري، وفلسطين، وما بين الفرات والنيل، والبحر المتوسط، وتركيا لتضم سوريا، ولبنان، والأردن وبعض أراضي تركيا.

وهذا النص: «**من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات**»(٤) هو آخر حدود الأرض الموعودة في التوراة.

---

(١) سفر إشعيا: ١٧/ ١٣.

(٢) سفر يشوع: ١/ ١-٢.

(٣) سفر يشوع: ١٧/ ١٣.

(٤) سفر التكوين: ١٥/ ٨.

والنصوص القديمة وتفسيراتها القديمة والمعاصرة تكشف بوضوح عن حدود تلك الأرض الموعودة، يقول الدكتور (بوست): «الأرض الموعود بها إبراهيم الموضوعة في كتاب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تمتد من جبل هور إلى مدخل حماة، ومن نهر مصر والعريش إلى النهر الكبير نهر الفرات، وأكثر هذه الأرض كانت تحت سلطة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فكان التخم الشمالي حينئذ سورية، والشرقي الفرات وتربة سورية، والجنوبي برية التيه وأدوم في سيناء، والغربي البحر المتوسط»[١].

ويقول (هرتزل) في يومياته: «إن القاعدة يجب أن تكون في فلسطين أو بالقرب منها، إن علينا تشييد البنيان على أساس قوميتنا اليهودية، ولذلك لا بد من حصولنا على وسائل للجذب السياسي، إنني لا أستطيع الإيضاح أكثر من هذا»[٢].

وهذا عضو الوكالة اليهودية الحاخام (فيشتمان) يتقدم بخريطة توضيح حدود الدولة اليهودية التي يري اليهود أن لهم الحق الكامل في استردادها تنفيذًا لوعود التوراة ومشاريع (هرتزل)، ووقف (فيشتمان) ليعرض تلك الحدود «من مدينة الإسكندرية محيطة بمنطقة الدلتا غربًا في مصر، ثم تمتد جنوبًا مع مجرى نهر النيل؛ لتتجه شرقًا في خط مستقيم قاطع للجزيرة العربية حتى محاذاة مصب نهر الفرات، ثم تصعد الحدود مع مجرى الفرات حتى حدود تركيا؛ لتصل إلى سوريه لتقفل الدائرة بعد ذلك بالحدود الشرقية

(١) عقيدة اليهود في تملك فلسطين. د/ عابد توفيق الهاشمي، صـ٤٨ بتصرف.

(٢) الدولة اليهودية. تيودور هرتزل: صـ ٤٥.

للبحر الأبيض المتوسط»[١].

أهذه مجرد أوهام وأحلام أم هي الحقيقة التي يسعى اليهود لإبرازها على أرض الواقع؟ نقول: إن العلم الإسرائيلي يجيب عن هذا السؤال هذا العلم ذو الخطين.

- **المطلب الثالث: علم إسرائيل[٢] وحدود أرض الميعاد**

إن علم إسرائيل ذو الخطين الأزرقين اللذين يرمزان إلى نهري النيل والفرات، وهذه النجمة السداسية المدعاة (نجمة داود) التي ترمز إلى مملكة داود، والتي يتطابق مثلثاها للدلالة على تعاضد السلطة الدينية مع السلطة المدنية كما كان شأن الدولة في عهد مُلك سليمان، وهذه اللافتة المنصوبة على مدخل الكنيست الإسرائيلي متضمنة الوعد المذكور في التوراة، وهذه العملة المعدنية الإسرائيلية متضمنة الوعد المذكور في التوراة

---

(١) عقيدة اليهود في تملك فلسطين: صـ٥٢.

(٢) علم إسرائيل: صورة علم الدولة والعلاقات بين الأبعاد التي حددت وأعلنت في البيان الرسمي لمجلس الدولة: يبلغ طول العلم ٢٢٠ سم،وعرضه ١٦٠ سم، الخلفية بيضاء وعليها خطان لونهما أزرق داكن، والمساحة بينهما ٢٥ سم، مائلة إلى كل طول العلم من الضلع إلى الضلع، المسافة بين الخط العلوي والخط السفلي تبلغ ١٥ سم، ويتوسط الخلفية البيضاء بين الخطين الأزرقين بمسافة متساوية: (نجمة داوود) المتكونة من ستة خطوط زرقاء عرضها ٥.٥ سم لكل منهما، يندمج فيها مثلثان متساويا الأضلاع، وقاعدتهما تتوافق مع طول الخطين الأزرقين للعلم، هذا العلم كان معروفًا باسم (ريشون لتسيون). نجمة داود وعلم إسرائيل دان ميلر صـ١٢.

والتي يتعامل بها اليهود صغارًا وكبارًا نساءً ورجالًا وأطفالًا؛ لتذكرهم كل يوم، بل كل لحظة بالحلم الباقي والذي لم يكتمل، وهو إسرائيل الكبرى، حيث رسمت على العملة خريطة لتلك الأرض بحدودها من النيل إلى الفرات[1].

المبحث الرابع

قدسية أرض الميعاد وترابها في تصورات اليهود

• تمهيد

إن المنزلة الدينية للأرض عند اليهود تكاد تصل إلى مستوى الفرائض والأركان، والتلمود الذين يفسرون به التوراة يقول: «واجب على كل يهودي أن يعيش في أرض إسرائيل، وهذا الواجب يعلو على أي التزام آخر، وأرض إسرائيل طاهرة لا بد من دفن المتقين من إسرائيل فيها، وإن لم يتيسر ذلك يوضع مع الكفن شيء من التراب المجلوب منها، والذي يتمشّى أربعة أذرع في أرض إسرائيل على يقين أنه من أبناء الآخرة»[2].

«فكل يهودي يؤمن بالتوراة والتلمود، ويقدسهما يؤمن في الوقت نفسه بحديثهما عن أرض إسرائيل، وحديثُ التوراة عن إسرائيل ينصرف في الغالب إلى الأرض الموعودة بحدودها الواسعة، واليهود يفهمون ذلك على أن تلك الأراضي ملك لهم، سواء سكنوها أم لم يسكنوها، وسواء

---

(١) حمى سنة ٢٠٠٠. د/ عبد العزيز مصطفى كامل: صـ ٨٣.

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الدين خان: صـ ٦٦.

استطاعوا السيطرة عليها أم لم يستطيعوا؛ لذلك فلا غرو أن يبذلوا كل مسعى لتنكيد حياة من يعيش عليها من غيرهم إذا لم يستطيعوا هم البقاء فيها، فأعمال الآخرة لا يمكن وفق تعاليم التلمود أن يقوم بها اليهود على الوجه المطلوب في الأرض الموعودة، والأرض عند اليهود هي الحياة الدنيا، وهي أرض الرب، وهي مغفرة الذنب، وهكذا حوّل التحريف ديانة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الإلهية السماوية إلى ديانة محرفة بسبب خيالات اليهود المريضة، وأهوائهم الباطلة»[١].

ويسمونها الأرض المختارة كما ادّعوا أنهم شعب الله المختار، يقول (بن جوريون) أول رئيس وزراء لدويلة اليهود عن هذا المعنى: «من يعش داخل أرض إسرائيل يمكن اعتباره مؤمنًا، أما المقيم خارجها فهو إنسان لا إله له».

«ترنّمي وافرحي يا بنت صهيون؛ لأني ها أنذا آتي وأسكن في وسطك، يقول الرب»[٢].

وعن تراب الأرض الموعودة جاء في التوراة: «أما أنت يا رب تقوم وترحم صهيون؛ لأنه وقت الرأفة؛ لأنه جاء الميعاد؛ لأن عبيدك قد سُرُّوا بحجارتها وحنّوا إلى ترابها. إذا بنى الرب صهيون يرى بمجده»[٣].

وعلى أنهار بابل كانوا يندبون أورشليم، ويحنّون إلى ترابها: «على أنهار

---

(١) حمى سنة ٢٠٠٠. صـ٣٩.

(٢) سفر زكريا: ٢/ ١٠.

(٣) مزمور: ١٣٧/ ٤، ٥، ٦.

بابل هناك جلسنا بكينا أيضًا كطيف نترنم ترنيمة الرب، أرض غريبة، إن نسيتك يا أورشليم أنسى يميني، يلتصق لساني بحنكي، إن لم أذكركِ، إن لم أفضّل أورشليم على أعظُم فرجي»(١).

- **المطلب الأول: أورشليم (صهيون) مقدسة ومباركة عند اليهود**

وعن **منزلة القدس عند اليهود** جاء في التوراة: «لأن الرب قد اختار صهيون، اشتهاها مسكنًا له، هذه هي راحتي إلى الأبد، ها هنا أسكن؛ لأني اشتهيتها، طعامَها أباركُ بركةً، مساكينَها أُشبِعُ خبزًا، كهَنَتها أُلبس خَلاصًا، وأتقياؤها يهتفون هتافًا»(٢).

«ارفعوا أيديكم نحو القدس وباركوا الرب يباركك الرب من صهيون، الصانع السماوات والأرض»(٣).

كلام الله وحديثه يصدر من القدس (أورشليم): «الرب من صهيون يزمجر، ومن أورشليم يعطي صوته، فترجف السماء والأرض. ولكن الرب ملجأٌ لشعبه وحصن لبني إسرائيل، فتعرفون أني أنا الرب إلهكم ساكنًا من صهيون جبل قدسي، وتكون أورشليم مقدسة، ولا يجتاز فيها الأعاجم فيما بعد»(٤).

«فقال: إن الرب يزمجر من صهيون، ويعطي صوته من أورشليم، فتنوح

---

(١) مزمور: ١٣/ ٤، ٥، ٦.

(٢) مزمور ١٣٢/ ١٦.

(٣) سفر المزامير: ١٣٤/ ٢٣.

(٤) سفر يوئيل: ٣/ ١٦، ١٧.

مراعي الرعاة وييبس رأس الكرمل»(١).

إسرائيل شعبها منصور: «ليس مثل الله الإله القديم، يسكن إسرائيلُ آمنًا وحدَه، تكون عين يعقوب إلى أرض حنطةٍ وخمرٍ، وسماؤه تقطر ندى، طوباك يا إسرائيل، مَن مثلُك يا شعبًا منصورًا بالربّ ترسِ عونِك وسيفِ عظمتك، فيتذلل أعداؤك، أنت تطأ مرتفعاتهم»(٢).

- **المطلب الثاني: أورشليم (صهيون) مسكن «رب إسرائيل» ونجاة لليهود**

يعتقد اليهود أن أورشليم هي مسكن الرب: «وكان كلام رب الجنود قائلًا: غِرت على صهيون غَيرة عظيمة، وبسخط عظيم غرت عليها، هكذا قال الرب، قد رجعت إلى صهيون، وأسكن في وسط أورشليم، فتُدعي أورشليم مدينة الحق وجبل رب الجنود الجبل المقدس»(٣).

ويسكن فيها: «والرب من صهيون يزمجر ومن أورشليم يعطي صوته، فترجف السماء والأرض، فتعرفون أن الربَّ إلهُكُم، ساكنًا في صهيون جبل قدسي، فتكون أورشليم مقدسة ولا يجتاز فيها الأعاجم فيما بعد»(٤)، وهو مكان النجاة: «لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم تكون النجاة كما قال الرب»(٥).

---

(١) سفر عاموس: ١/ ٢.

(٢) سفر التثنية: ٣٣/ ٣٦-٣٩.

(٣) سفر زكريا: ٨/ ١، ٢، ٣.

(٤) سفر يوئيل: ٣/ ١٥، ١٧.

(٥) سفر يوئيل: ٢/ ٣٣.

«وأما جبل صهيون فتكون عليه نجاة ويكون مقدسًا، ويرث بيت يعقوب مواريثهم، ويصعد مخلّصون على جبل صهيون؛ ليدينوا جبل عيسو، ويكون الملك للرب»(١).

المبحث الخامس

الوعد الإلهي وأرض الميعاد في فكر وعقيدة اليهود المعاصرين

- **تمهيد**

ماذا تمثل القدس لليهود: «لقد كان لتمسك أهل الكتابين بموروثاتهم الباطلة حيث تصدوا بباطلهم الموروث لدعوات الحق، واشتدت مواجهتهم لأمة الإسلام، ولبّس على اليهود فيها وظنوا أن استيلائهم على القدس، ووصولهم إلى حائط المعبد الكبير بعد تسعة عشر قرنًا من الحرمان والتشرذم هو إكرام لهم، ودليل على أن رؤية أنبيائهم تحقق لصالحهم، وكذلك انخدع النصارى الذين زرعوا اليهود في الأرض المقدسة، وسقوا نبتهم الخبيث فيها، وظنوا أن ما معهم من الدين هو الحق؛ لأن يتوافق مع نبوءات مدّعاة عن عودة اليهود في آخر الزمان إلى الإيمان بعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عندما ينزل إلى تلك الأرض.

لقد ظلت المشاعر الدينية تتعاظم في مجتمعات اليهود أنفسهم، وفي بعض مجتمعات النصارى، وظهرت آثارها على شكل جماعات ومنظمات سرية وعلنية، دون أن يظهر أثر واضح على مستوى سياسات القمة، والعصر

(١) سفر عوبديا: ١/ ١٧-٢١.

الحاضر يراه اليهود عصر العلو الكبير، والسيطرة الكاملة، والعودة الجماعية لأرض الميعاد.

وعلى تلك الأرض الموعودة يكون الموعد، وسيكون اللقاء الحتمي، والصدام الكبير، حيث ستشهد تلك الأراضي الواقعة بين النيل والفرات أعظم الملاحم وأكبر الأحداث والتحولات في الزمان الأخير كما شهدت أعظم الأحداث في الزمن القديم»[١].

إن مع اليهود نبوءات، ومع النصارى نبوءات، وعند المسلمين أصدق النبوءات بأن أرض الشام والحجاز وما حولها سوف تكون حلبة الصراع الأخير بين الأمم.

واليهود والنصارى يعتقدون أن الأراضي المقدسة، والشعب (المقدس)، والزمن المقدس أوشكوا جميعًا على الالتحام في أرض الميعاد التي ستشهد الأحداث الأخيرة، فكلا الأمتين تعتقدان أن الفصول الكبرى في ملحمة نهاية التاريخ ستكون على هذه الأرض (أرض الميعاد)، أو (أرض المعاد)، أو (إسرائيل الكبرى)، كما يسمونها؛ ولهذا فإن مساعي اليهود في التوسع مع هذا التدرج، فالدائرة الكبرى من النيل إلى الفرات والدائرة التالية أرض الشام التي بدؤوا باغتصابها بإعلان دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م، ثم باحتلال القدس سنة١٩٦٧م، ثم بإزالة المباني في الأراضي المحيطة بالمسجد الأقصى[٢].

(١) حمى سنة ٢٠٠٠، د/ عبد العزيز مصطفى كامل: صـ٣.

(٢) قبل أن يهدم الأقصى: صـ٣٧.

- **المطلب الأول: أقوال ناتجة عن معتقدات دينية**

إن قضية العودة إلى فلسطين لتحقيق الوعد الإلهي؛ لتشغل فكر وعقول زعماء الصهيونية، فضلًا عن حاخامات وعامة اليهود، وإن هذه الفكرة والعودة لتراودهم من أزمنة بعيدة ترجع في القديم إلى زمن السبي البابلي، وظلت لا تغيب عن خواطرهم وعقولهم حتى جاء القرن التاسع عشر، وحل المرض بجسد الدولة العثمانية، ودب الخلاف والضعف في ولاياتها، وكشّر الأعداء عن أنيابهم، وتحركت القلوب، وتطلعت الأشواق لأرض الميعاد عند اليهود، فعُقد مؤتمر بال بسويسرا عام ١٨٧٩م، المؤتمر الصهيوني الأول لتحقيق مشروع الدولة اليهودية الذي أعده وليد الصهيونية البابلية، ومؤسس الصهيونية الغربية (تيودور هرتزل)، هذا البرنامج لتحويله إلى واقع تطبيقي.

- قال هذا الصهيوني في هذا المؤتمر: «إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ننساه، أقترح عليكم في الوقت الحالي برنامج فلسطين الكبرى قبل فوات الأوان؛ لأنه من غير المعقول أن تضع عشرة ملايين يهودي في بلاد مساحتها ٢٥ ألف كم^2».

وقال هرتزل أيضًا: «إذا حصلنا يومًا على مدينة القدس وكنت لا أزال حيًّا، وقادرًا على القيام بأي عمل فسوف أزيل كل شيء ليس مقدسًا لليهود فيها، وسوف أحرق جميع الآثار التي مرت عليها قرون»[(١)].

- وهذا رئيس وزراء إسرائيل (ديفيد بن جوريون) في لقاء صحفي نشرته

---

(١) يوميات هرتزل ومذكراته: صـ ٧٠٢.

صحيفة معاريف الإسرائيلية في ١٦/ ١/ ١٩٦٩م يقول: «إسرائيل هي أرض أسلافنا، وهي تمتد على جانبي نهر الأردن، والقدس عاصمتنا منذ آلاف السنين، وهي لنا كما أن باريس للفرنسيين ولندن للإنجليز»، وقال أيضًا: «لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل»[١].

وقال أيضًا: «فلسطين حق لنا على أساس ديني، فهي الأرض التي وعدنا الله، وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل؛ ولذا وجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين، وإن كل يهودي يبقى خارج إسرائيل بعد إنشائها يعتبر مخالفًا لتعاليم التوراة، بل إن هذا اليهودي يكفر يوميًا بالدين اليهودي».

- ويقول (موشى ديّان) في عام ١٩٦٧م أما حائط المبكى: «ها قد عدنا إلى الهيكل الأقدس، ولن نبرحه أبدًا»[٢].

- وقال شلومو غورين[٣]:«إن الصهيونية وأهدافها ستبقى معرضة للخطر مادام المسجد الأقصى وقبة الصخرة قائمين أمام أعين المسلمين وأفئدتهم. الأمر الذي يتطلب والحالة هذه إزالتهما من على سطح الأرض».

- وهذا مائير كهانا[٤] يقول: «إن ما كان ليس يهوديًّا لا يحق له العيش،

---

(١) عقيدة اليهود في تملك فلسطين توراة وإنجيلًا وقرآنًا تاريخًا. د/ عابد توفيق الهاشمي: صـ٢٥.

(٢) حمى سنة ٢٠٠٠. صـ١٨.

(٣) شلومو غورين: ولد عام ١٩١٧ كان الحاخام العسكري الأول في جيش الدفاع الإسرائيلي هو مؤسس الحاخامية العسكرية لقوات الدفاع الإسرائيلي وعمل رئيسا لها. كما أصبح ثالث رئيس لحاخامات اليهود الأشكناز في إسرائيل من ١٩٧٣ إلى ١٩٨٣.

(٤) مائير كاهانا: المعروف أيضا بعدة أسماء مستعاره مثل مايكل الملك وديفيد سيناء =

والبقاء على أرض إسرائيل، وليس له حق الملكية، أو الجنسية، أو أية حقوق سياسية، فهذه هي تعاليم التوراة، وهذه هي اليهودية الحقيقية»، «إن سكوت اليهود على المسلمين على أرض إسرائيل يعتبر معصية لرب إسرائيل؛ لذلك فإن طردهم ليس عملًا سياسيًا فقط، بل واجبًا دينيًا، وبدلًا من أن نخشى ردود فعل الغرباء المسلمين إذا طردناهم، علينا أن نرتعد خوفًا من غضب رب إسرائيل إذا لم نفعل ذلك، ولهذا فهيا بنا يا شعب الله المختار نطرد الغرباء؛ لنجلب الخلاص لشعب إسرائيل».

- ويقول (بيجال ألون) نائب رئيس وزراء إسرائيل: «جاء اليهود إلى البلاد؛ لكي يستردوا الأرض التي يعتقدون أنها كانت أرض آبائهم، الأرض التي وعدها الله لهم، ولذراريهم في العهد القديم قبل آلاف السنين بين الله وإبراهيم، وهي فلسطين أرض كنعان، وما حولها من أرض الميعاد كما توضح التوراة»[1].

• المطلب الثاني: أقوال ناتجة عن أهداف سياسية واقتصادية

١-من أقوال السياسي اليهودي الصهيوني الغربي (كامي كوهين): «أؤكد قيام دولة يهودية في فلسطين تدور في فلك أوربا الغربية، وتصبح المخفر

=

(١٩٣٢-١٩٩٠)، حاخام إسرائيلي ومؤسس حركة كاخ وعضو سابق في البرلمان الإسرائيلي الكنيست .(اشتهر بالعداء الكبير للعرب ومن تلاميذه باروخ جولد شتاين.

(١) وما قبلها: إسرائيل في الكتاب المقدس، مجموعة من أساتذة اللاهوت: صـ٩، عقيدة اليهود في تملك فلسطين. عابد توفيق الهاشمي. صـ١٣٨.

الأمامي للعالم المتمدن يقف في وجه آسيا التي بدأت تستيقظ».

٢- وفي محاضرة مونتريال في كندا (١٩٤٧م) أعلن (ناحوم غولدمان) رئيس المنظمة الصهيونية قائلًا: «لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوارتي والديني بالنسبة إليهم، ولا لأن مياه البحر الميت فقط تغطي تبخُّر ما قيمته ثلاثة آلاف دولار من المعادن، وأشباه المعادن، وليس أيضًا لأن مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة مخزون الأمريكتين مجتمعتين؛ بل لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا، وفلسطين تشكل في الواقع نقطة ارتكاز حقيقية لكل قوى العالم، ولأنها المركز الاستراتيجي للسيطرة على العالم».

وأعلن رئيس وزراء بريطانيا السابق (ونستون تشرشل) قائلاً: «إذا أتيح لنا في حياتنا -وهو ما سيقع حتمًا- أن نشهد قيام دولة يهودية لا في فلسطين وحدها، بل على ضفتي نهر الأردن معًا تقوم على حماية التاج البريطاني، وتضم نحو ثلاثة ملايين أو أربعة ملايين من اليهود، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق مع المطامع الحيوية للإمبراطورية البريطانية».

ويقول (جورج شولتز) وزير الخارجية الأمريكية في أثناء فترة رئاسة (رونالد ريجان) لأمريكا: «لقد بات الأمريكيون يدركون أهمية إسرائيل الكبيرة كشريك في السعي وراء الحرية الديمقراطية، وكشعب يشاركنا مُثلنا العليا، وكحليف استراتيجي أساسي».

وما قاله (إيباك): «أدت العلاقة الوثيقة مع إسرائيل إلى تعزيز نفوذ

الولايات المتحدة في العالم العربي وليس إلى تقليص»[١].

وما أكده السناتور (البرت غور) المرشح لمنصب نائب الرئيس الأمريكي عام ١٩٩٢م: «إن إسرائيل أفضل أصدقائنا وأقوى حلفائنا، لا في الشرق الأوسط وحده، وإنما في أي مكان آخر في العالم»[٢].

وهذا (ناحوم غولدمان) يقول في مؤتمر عام ١٩٤٧م: «لقد كان ممكنًا لليهود أن يحصلوا على أوغندا، أو مدغشقر، أو غيرها من الأقطار؛ لينشئوا فيها وطنًا يهوديًّا، ولكن اليهود لا يريدون على الإطلاق غير فلسطين، وليس لاعتبارات دينية فحسب، ولا لأن أرض فلسطين تحتوي على ثروات عظيمة؛ بل لأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية، والمركز العسكري الاستراتيجي للسيطرة على العالم، وهذه النظرة مرجعها القصص الدينية التي يؤمن بها اليهود أنهم يرثون أمجاد العالم أجمع بملك إسرائيل»[٣].

---

(١) حمى سنة ٢٠٠٠ م. د/ عبد العزيز مصطفى كامل: صـ ٣٤، عقيدة اليهود في تملك فلسطين توراتًا وإنجيلًا وقرآنًا. د/ عابد توفيق الهاشمي: صـ ١٤٠.

(٢) إسرائيل في الكتاب المقدس. مجموعة من أساتذة اللاهوت.صـ ١٤.

(٣) لا لن يمحى الأقصى: صـ ١٨.

الفصل الثاني
مناقشة النصوص التوراتية بادعاء اليهود الوعد الإلهي وأرض الميعاد

ويشتمل على أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: مناقشة ادّعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب الديني.**
- **المبحث الثاني: مناقشة ادّعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب التاريخي.**
- **المبحث الثالث: مناقشة ادّعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب القانوني.**
- **المبحث الرابع: مناقشة ادّعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب الأثري.**

تمهيد

زعم اليهود أن الله قد أعطاهم ما يسمونه أرض الميعاد هبةً مقدسة منه، كما زعموا أنهم شعب الله المختار معتمدين في ذلك على نصوص التوراة التي كتبها يهود الأسر البابلي [٥٨٧ – ٥٣٩ ق.م].

ويزعم اليهود أنهم أصحاب حق في فلسطين، وفي دولة إسرائيل كما يقولون: إن فلسطين موطن آباءهم الأقدمين، ويحتجّون لذلك بأن الكتاب المقدس قد تنبّأ بتأسيس دولة يهودية مستقلة في فلسطين، فضلًا عن أسباب تاريخية ثابتة.

فأما إذا كان اليهود يستندون في إقامة دولتهم في فلسطين إلى أن وعدًا إلهيًّا قد صدر قبل أربعة آلاف سنة، وتكرّر مرارًا، ومؤدّاه أن تعطى أرض لشعب معين، وأن هذا الوعد يجعل ذلك الشعب مالكًا لتلك البلاد باسم الحق المقدس، وإذا كان اليهود يستندون إلى ذلك، فيجب أن نعلن بطلان هذا السند.

لقد ارتبطت الحركة الصهيونية بمطلبين أساسيين:

أولًا: الحصول على ما يسمى بأرض الميعاد، أو أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات.

ثانيًا: إعادة الشعب اليهودي إلى أرضه التاريخية؛ لأن الحياة خارج فلسطين مخالفة للدين اليهودي.

يقول بن جوريون: «إن كلَّ يهودي لا يعود إلى أرض الميعاد محروم من

رحمة إله إسرائيل»[١].

ولإبطال هذه الادعاءات لا بد أن نعلم لمن منحت هذه الوعود؟ ثم ما هي حدود الأرض الموعودة؟ وهل كان الوعد مطلقًا بلا قيد أو مقيدًا بشروط؟

ثم لمناقشة هذه الادعاءات لا بد أن نناقشها:

أولًا: من الجانب الديني.

ثانيًا: من الجانب التاريخي.

ثالثًا: من الجانب القانوني.

رابعًا: من الجانب الأثري.

المبحث الأول

مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب الديني

- **المطلب الأول: المصدر الإسلامي (القرآن والسنة)**

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ

---

(١) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة إبكار السقّاف: صـ٤٩٧، وبنو إسرائيل د/ محمد بيومي مهران. جـ١، صـ٥٤.

﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٥ – ٦٨].

في هذه الآيات يتبين لنا ما يلي:

أولًا: إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس على ملة اليهود؛ لأن زمانه سابق لليهودية، والنصرانية، والتوراة، والإنجيل، فكيف يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا، ولا دليل على هذا من عقل أو نقل، وهذه الآيات نزلت بسبب دعوة كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان على دينه فردّ الله تعالى قولهم؛ لأنه كان بين إبراهيم وموسى مئات السنين، وبين موسى وعيسى ما يزيد على الألف سنة، فكيف يكون على دين لم يكن إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة.

ثانيًا: إن أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل هم الذين اتبعوه على دينه، روى عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل نبي ولاة من النبيين وإن وليي منهم أبي وخليل ربي عز وجل** ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨]»[(١)].

ثالثًا: تعريض باليهود والنصارى أنهم انحرفوا عن الدين الحق، فإبراهيم كان على التوحيد، أما اليهود فوقعوا في الشرك مع كفرهم بالأنبياء وقتلهم أحيانًا، والنصارى اعتقدوا إلهية المسيح، فليس في القرآن الكريم وعد أو عهد لإبراهيم بأن يعطي الله ذريته تلك الأرض الموعودة، وعلى فرض ذلك –وهو

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود(١/ ٤٠٠)، سنن سعيد بن منصور (٣/ ١٠٤٧).

غير حاصل، – فليس اليهود وحدهم هم أبناء إبراهيم دون سواهم، فإن العرب لهم نفس الحق؛ لأنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ(١).

الأقصى قبلة المسلمين الأولى:

قال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

وفي الحديث الصحيح: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، والمسجد الأقصى»(٢)، وفي الصحيحين: عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: «يا رسول الله، أي مسجد وضع على الأرض أولًا؟ فقال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عامًا ثم قال: فأينما أدركتك الصلاة فصلّ»(٣).

ويستفاد من هذه النصوص ما يلي:

أولًا: أن المسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين، وأن القدس هي أرض الإسراء والمعراج، وهي ثالث المدن المقدسة في الإسلام بعد مكة والمدينة، وهي أرض النبوات، والبركات، والخيرات.

---

(١) تفسير القرطبي: جـ٤، صـ١١٥، والكشاف للزمخشري:جـ١، صـ ٤٣٤، تفسير للقرآن العظيم لابن كثير:جـ١، صـ٣٧٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمع (١١١٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب حديث الأنبياء (٣١٧٢)، ومسلم كتاب المساجد (٥٨٠٨).

ثانيًا: أن بناء المسجد الحرام سابق على بناء المسجد الأقصى بأربعين سنة، ومن الثابت أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ جدد بناء البيت الحرام بعد بناء آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثالثًا: أن القدسية لتلك المدينة المقدسة تستوجب على المسلمين أن يكونوا على جهاد ورباط حتى يتم تحريرها من دنس اليهود، وهذا من دلائل نبوته ﷺ، ولقد أخبر النبي ﷺ أن المسلمين سيقاتلون اليهود حتى يقول الحجر والشجر للمسلم: يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعالى فاقتله.

قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال: ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦].

ومن الأحاديث النبوية: «**أُعطِيت خمسًا لم يُعطَهنَّ نبيٌّ قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأُحِلَّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجُعلت لي الأرض مسجدًا والتراب طهورًا، وكان النبي يرسل إلى قومه خاصة، وأرسلت إلى الناس كافّة، وبي ختم الله النبيين**»[١].

ويستفاد من هذه الآيات والحديث ما يلي:

١) الأرض ملك لله يورثها من يشاء، وهي لبني آدم مسلمهم وكافرهم،

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير حديث رقم: ١١٩.

والعاقبة لأهل التقوى -وما فرعون وقومه إلا نزلاء فيها- وفق سنته وحكمه، فلا ينظر الداعون إلى رب العالمين إلى شيء من ظواهر الأمور التي تخيل للناظرين أن الطاغوت ممكَّن في الأرض غير مزحزح عنها، فالله هو صاحب الأرض ومالكها، وهو الذي يقرر متى يطردهم منها.

٢) أخبر الله حتمًا وقضاءً أن الحق في وراثة الأرض المقدسة، بل في الأرض كلها يرجع إلى الثبات على الدين، والدخول في ركب المؤمنين؛ فإن بني إسرائيل لما سكنوا تلك الأرض -قبل اللعنة والطرد- كانوا أحق بها من الوثنيين العرب، ثم لما تجرد اليهود عن وصف الصلاح، ودخل العرب في الدين الحق، ورّثهم الله تعالى أرض المقدسات ليحموها، وأخبر سبحانه في التوراة والزبور -وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض- أن يورثها أمة محمد ﷺ الأرض، ويدخلهم الجنة وهم الصالحون فما هي هذه الوراثة؟ ومن هم الصالحون؟

والوراثة: هي تحقيق مدلول الإيمان، وهو العمل الصالح والنهوض بتبعات الخلافة؛ ليتحقق وعد الله وتجرى سنته، ويرثها عباد الله الصالحون، أي: المؤمنون بعد إجلاء الكفار، وقيل: الأرض المقدسة ترثها أمة محمد ﷺ.

إذًا فالوعد الذي يدّعيه اليهود ليس لأمة بعينها لانتخاب سلالةٍ، أو خيرية شعبٍ، أو عنصرية نوعٍ، وإنما الوعد الإلهي بالوراثة، والتمكين، والنصر، والتأييد للمؤمنين الصالحين من أي أمة، ولخاتمة الأمم أمة الإسلام.

٣) دلت الآيات والأحاديث على أن الميراث الذي يتركه الأنبياء ويورِّثونه ليس المال أو الأرض، وإنما حمل الرسالة، وتبليغها، والعلم

والشرعي، وإن كان للأنبياء – أمثال إبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان – وارثون، فإنما ميراثهم هو النبوة والحكمة، وليس الملك أو المال.

٤) أخذ الله الميثاق والعهد على جميع النبيين لئن بُعِث محمد وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه، وأقررهم على ذلك، وأشهدهم على هذا العهد والميثاق الشديد، فأقروا وشهدوا، وأخبر النبي أنه لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعه ﷺ، وأتم الله هذا الإقرار القولي بالإقرار الفعلي، فصلّى النبي إمامًا بالأنبياء ليلة الإسراء والمعراج، وأعطاه الله خمسًا لم يُعطَهن نبيٌّ من الأنبياء(١).

٥) إن الانحراف عن منهاج الله، وطاعة رسله، وإقامة حدوده لهو معول هدم لأي أمة مهما كانت صفاتها، ومهما ادّعت لنفسها من ادعاءات المحاباة، والقرابة، والوعود، وتلك حكمة الله في استخلاف البشرية للأرض، وبيان هداه لهم، فقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

عدم التسليم بجميع نصوص التوراة لوقوع التحريف فيها:

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

وقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥].

(١) في ظلال القرآن. سيد قطب جـ٣ صـ١٣٥٥. ط/ دار الشروق القاهرة.

من هذه الآيات يظهر لنا طرفٌ من الطبيعة اليهودية على النحو التالي:

أولًا: كان الضلال، والكفر، والشرك ظاهرًا في بني إسرائيل حتى في زمن نبيهم موسى وأخيه هارون ومن بعدهما، والعجيب أن بني إسرائيل بعدما رأوا الآيات الباهرة من إهلاك فرعون، ونجاتهم، ومجاوزتهم البحر بشكل عجيب يحملهم على الإيمان بالله، وطاعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ بعد هذا كله حين مرّوا على قوم يعبدون أصنامًا، ومستغرقين في الوثنية إذا هم يطلبون من نبي التوحيد الذي أخرجهم من مصر باسم التوحيد أن يتخذ لهم وثنًا يعبدونه من جديد.

ثانيًا: طبيعة بني إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم عرضًا صادقًا دقيقًا أمينًا في شتى المناسبات طبيعة مخلخلة العزيمة، ضعيفة الروح، لا تكاد تهتدي حتى تضل، ولا تكاد ترتفع حتى تنحط، ولا تكاد تمضي في الطريق المستقيم حتى ترتكس وتنتكس؛ ذلك لغلظ في القلب، وتصلب عن الحق، وقساوة في الحس والشعور، وفي حين أن موسى كان في حضرة ربه اتخذ قومه عجلًا جسدًا من ذهب له صوت صنعه رجل من السامرة، ولم يملك هارون لقومه حولًا ولا قوة؛ ليصرفهم عن هذا الضلال المبين، والظلم الواضح، وقد كانت الجماهير الضالة المتدفقة على العجل أقوى من هارون، ومحاولته ردهم عن تلك الوثنية قال تعالى: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

ثالثًا: يقرر القرآن أن الله أنزل التوراة على موسى فيها هدى ونور، لكن

اليهود كما انحرفت فطرتهم عن التوحيد أفسدوا التوراة بطرق وصور شتى:

- تحريف الكلم عن مواضعه. **- بدلوا قولًا غير الذي قيل لهم.**

- يكتمون الحق وهم يعلمون. **- يلوون ألسنتهم بالكتاب.**

- يلبسون الحق بالباطل. **- نسوا حظًّا مما ذكروا به.**

وهذه الطرق والصور كفيلة لإخراج النص الإلهي عن مكانه، فلقد ظهرت نسخ متعددة للتوراة تختلف في أحجامها وأحكامها صحيحها وسقيمها.

رابعًا: كما حرّف اليهود التوراة وعصوا نبيهم موسى، أضاعوا الحياة الجميلة من أماكن وجودهم، فلم ينعم أحد معهم باستقرار، ولم يهنأ معهم أحد بسلام، الغدر طبيعتهم والخسة ديدنهم، ونقض العهد والمواثيق صفة ذميمة فيهم، وقسوة القلب لا تفارقهم، وهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].

ولقد كتب الله لبني إسرائيل؛ أي: فرض عليهم وأمرهم بدخول الأرض المقدسة، وهو فرض كالصلاة والزكاة، وكتب الله لكم، أي: قدّر وقضى أن تكون مساكن لكم دون الجبارين بشرط الإيمان، وطاعة الأنبياء، والجهاد في سبيل الله؛ لنصرة الحق، وكتب الله لكم لا تفيد التملك، والاستطراد في الآية يفيد أنهم حرموا من الدخول إليها، وهم على أبوابها أربعين سنة يتيهون في الأرض، وحرموا من دخول الأرض المقدسة جزاءً لجبنهم، وتخاذلهم،

وانحرافهم عن منهاج الأنبياء.

وشعب الله المختار هم أمة محمد ﷺ إذا حقّقت شروط الخيريّة وضوابط الصلاح، والإيمان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي الأمة الوسط، وهي خير أمة، وعباد الله الصالحون الذين يرثون الأرض من بعد أهلها، والذين أورثهم الله الكتاب، واصطفاهم من عباده، ولا تقوم الساعة حتى يقاتلون اليهود فيُنطق الله الحجر والشجر، وينادى بلفظ الإسلام والعبودية: يا مسلم، يا عبد الله. وأما استشهاد اليهود بقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦]، قال الإمام الرازي: «وفضلناهم على العالمين، أي: على عالمي زمانهم»(١).

- **المطلب الثاني: مناقشة الادعاء من المصدر النصراني (العهد الجديد وشروحه):**

١) تحذيرات يسوع لبني إسرائيل من الانحراف عن وصايا الرب:

في إنجيل متّى: «قال لهم يسوع الحق: أقول لكم: إن العشاريين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله؛ لأن يوحنّا جاءكم في طريق الحق، فلم تؤمنوا به، فأما العشاريون والزواني فآمنوا به؛ لذا أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن يسقط عليه هو يسحقه»(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي: جـ١ صـ٣٥٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: جـ١، صـ١٥٨.

(٢) إنجيل متى: ٢١/ ٣٢.

وفي رسالة بولس إلى أهل رومية: «فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم، أو لنسله أن يكون وارثًا للعالم، بل ببر الإيمان؛ لأنه إن كان الدين من الناموس هم ورثة، فقد تعطل الإيمان، وبطل الوعد لأن الناموس ينشئ غضبًا؛ إذ حيث ليس ناموس ليس أيضًا تعدٍّ؛ ليكون الوعد وطيدة لجميع النسل ليس هو من الناموس فقط، بل أيضًا لمن هو من إيمان إبراهيم الذي هو أب لجميعنا»(١).

٢) يسوع يوبخ اليهود على أفعالهم وشرورهم:

«ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون؛ لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ويل لكم؛ لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلًا واحدًا، ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل، فليس بشيء، أيها الجهال العميان أيهما أعظم؛ الذهب أم الهيكل؟ أيها الجهال العميان أيهما أعظم؛ القربان أم المذبح الذي يقدس القربان؟ ويل لكم؛ لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون، وتركتم أثقل الناموس؛ الحق والرحمة والإيمان، أيها القادة العميان الذين يُصَفّون عن البعوض ويبلعون الجمل، ويل لكم؛ لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة، وهما من الداخل مملوآن اختطافًا ودعارة، ويل لكم؛ لأنكم تنبشون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقيين، فأنتم تشهدون أنكم أبناء قتلة الأنبياء، أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم، أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء، فمنهم تقتلون

---

(١) رسالة بولس إلى أهل روميّة: ٤/ ١٣ – ١٧.

وتضلون، ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة؛ لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح، الحق أقول لكم: إن هذا كله يأتي على هذا الجيل»(١).

في هذه النصوص من الأناجيل نجد:

أن المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أوضح في هذا العدد مقصده من هذا المثل تفسير الكرم بملكوت الله ينزع من ليهود، والمراد: أنه ينزع منهم كل وسائط النعمة، والبركات المختصة بشعب الله الخاص كاستئمانهم على أقوال الله، وإرثهم للمواعيد، ويعطى لأمة، أي: إن الأمم تعطى وسائط النعمة التي أهملها اليهود، ونجزت هذه النبوءة بإيمان ألوف كثيرة منهم، وتمت أيضًا من جهة اليهود بخراب مدينتهم وتشتتهم في العالم.

وخلاصة هذه النصوص: أن الوعد الإلهي –إن صحّ – فهو ليس لليهود فقط، بل لكل ذريّة إبراهيم، الذين ءامنوا بالله ورسله، والتزموا بما أمر الله ورسله، وإن أهملت الأممُ منهج الله ووحيه؛ سلبت منهم الأرض، ونزع ملكوت الله، ويعطى لأمة طائعة خيّرة أو للمؤمنين من أي أمة، وتلك حكمة الله في استخلاف البشر في الأرض قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾[يونس: ١٣]، وقال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[يونس: ١٤].

(١) إنجيل متّى: ٢٣/ ١٤-٣٠ باختصار.

• المطلب الثالث: مناقشة الادعاء من المصدر اليهودي (العهد القديم والكتابات اليهودية)

إن حجة الصهيونية بادعائها الحق في امتلاك فلسطين إنما هي حجة لا تقوم إلا على أساس من القول بأن أرض فلسطين هي الوطن التاريخي لبني إسرائيل، وأنها قد منحت لهم منحة إلهية أبدية من عهد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وظهور الرب له، وبمناقشة هادئة للنصوص التي اعتمدوا عليها في ادعائهم أرض الميعاد، ينجلي لنا كذب ادعائهم، وبطلان حججهم: فنقول: إن هذا الوعد الذي ظنوا أنه سيظل أبد الدهر إنما أضغاث أحلام تراود عقولًا مريضة من اليهود.

وتتحدث عن التوراة، فتقول: إن الرب ظهر لإبراهيم في حران: «وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك وعشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة، فذهب أبرام كما قال الرب، وذهب معه لوط»[1].

والنص كما يبدو بوضوح لم يحدد بعد مكانًا بعينه يذهب إليه إبراهيم غير أن التوراة سرعان ما تستطرد في الرواية، فتقول: «وظهر الرب لأبرام، وقال لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحًا للرب الذي ظهر له»[2]، وهنا نجد لأول مرة بأن جزءًا من فلسطين قد أصبح الأرض الموعودة،

---

(١) سفر التكوين: ١٢/ ١-٣.

(٢) سفر التكوين: ١٢/ ٧.

وذلك حين ظهر الرب لأبرام.

وهكذا يحدد النص أرض الميعاد بالمنطقة المحصورة فيما بين شكيم وبلوطة مورة، وهذا كله لا يعد إلا جزءًا صغيرًا جدًّا من أرض فلسطين، ويبقى إبراهيم ما شاء الله له أن يبقى في أرض كنعان، ثم يرحل جنوبًا إلى مصر: «ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته، وبنى هناك مذبحًا للرب، ثم ارتحل أبرام ارتحالًا متواليًا نحو الجنوب»[1]، ويبقى هناك في أرض مصر ما شاء الله له، ثم يعود بعدها، وقد أفاء الله عليه من خير الكنانة، ويعود إلى أرض كنعان؛ لتبدأ حلقة جديدة من أسطورة أرض الميعاد لا تقتصر على الأطماع في المنطقة ما بين شكيم وبلوطة مورة فحسب، ولكن تتسع على طول النظر من إبراهيم، ومن كل الجهات، وهذا يعني بوضوح أن فلسطين حتى هذه المرحلة لم تصبح بعد هي الأرض الموعودة؛ لأن إبراهيم لا يستطيع أن يرى كل أرض فلسطين شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا، «وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه ارفع عينيك، وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالًا وجنوبًا، وشرقًا وغربًا؛ لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد»[2].

وجاء نصّ آخر ليزيد في رقعة الأرض الموعودة في صورة حديث الرب مع إبراهيم: «قم امش في الأرض طولها وعرضها؛ لأني لك أعطيها، فنقل أبرام خيامه، وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون، فبنى هناك مذبحًا

(١) سفر التكوين: ١٢/ ٨.

(٢) سفر التكوين: ١٣/ ١٤.

للرب»[١].

وعند هذه المرحلة تُحوّل التوراة الوعد إلى مرتبة الميثاق، وتزيد في رقعة الأرض الموعودة من النيل إلى الفرات: «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلًا: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[٢]، وهذا النص الأخير بالذات يعتبر الأساس الديني لمطالب اليهود بفلسطين، والسموم التي ينفثها متعصبة اليهود من أن دولتهم الموعودة لا بد أن تشمل كل تلك البقاع حتى اتخذوا من هذه العبارة: «هذه أرضك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات» شعارًا لهم على الكنيست.

وبدأ تحقيق وعد الذرية لإبراهيم: فوهب الله لإبراهيم نسلًا من زوجته هاجر المصرية، وهكذا اقترن الوعد بمولد إسماعيل دون أن يدري كاتب التوراة: «الذي يخرج من أحشائك يرثك».

ولم تكن لإبراهيم ذرية وقتها سوى إسماعيل فقط، ثم يظهر الرب لإبراهيم ليعقد معه عهدًا على أن يكون أبًا لجمهور من الأمم ويكون العهد معه، ومع بيته من بعده إلى أبد الآبدين: «لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكًا ابديًا»[٣].

ومن الأهمية الإشارة إلى أن هذا النص إنما يتعارض مع نص سابق «من

(١) سفر التكوين: ١٣/ ١٧، ١٨.

(٢) سفر يشوع: ١/ ٤.

(٣) سفر التكوين: ١٧/ ٨.

نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»، فإذا بها الآن وعلى ضوء النص الأخير لا تضم سوى أرض كنعان مما يشير بوضوح إلى الاضطراب في نصوص التوراة، وهذا أمر قد اعتدناه كثيرًا، وينفي عنها القدسية، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء: ٨٢].

وحتى هذا الوقت من الوعد لم يكن من ذرية إبراهيم سوى إسماعيل، وإسماعيل جد العرب ذلك؛ لأن إسحاق جد بني إسرائيل، لم يكن لإبراهيم ذرية وقت ذاك سوى إسماعيل، بل إن إسحاق حتى هذه المرحلة لم يكن الابن الموعود فضلًا عن أن يكون الابن الموجود، وعلى أية حال فإن العهد الذي أوجب الرب على إبراهيم ونسله حفاظه هو فيما تروي التوراة: «وقال الله لإبراهيم: هذا هو عهدي الذي تحفظون بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يختتن منكم كل ذكر، فتختتنون في لحم غرلتكم»(١)، ثم تستطرد التوراة، فتذكر أن إبراهيم قد وفّى عهده مع ربه، فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته، وجميع المبتاعين بفضة، كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لهم غرلتهم: «وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته، وكان إسماعيل ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته في ذلك اليوم عينه، ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه»(٢).

وننتقل إلى الوعد مع إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ: فنجد أول انحراف في توجيه

---

(١) سفر التكوين: ١٧/ ١٠، ١١.

(٢) سفر التكوين: ١٧/ ٢٥، ٢٦.

الوعد نحو بني إسرائيل دون بقية ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويبدأ مؤلف سفر التكوين بتحويل الوعد من إسماعيل إلى إسحاق: «فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنًا، وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهدًا أبديًا لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك معه، ها أنا أباركه وأثمره، وأكثّره كثيرًا جدًا»[١].

ويتعمد سفر التكوين إخراج إسماعيل وأبناءه من بعده من حقوق الوعد الذي تلقاه إبراهيم من الله تعالى، ومن البديهي أن التوراة حرمت من الوعد كذلك ذرية إبراهيم من زوجته قطورة الكنعانية: «وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا»[٢].

وطبقت التوراة قانون الحرمان من الوعد على كل أبناء إبراهيم عدا إسحاق: «وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له، وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم، فأعطاهم إبراهيم عطايا، وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقًا إلى أرض المشرق، وهو بعدُ حي»[٣].

وتطلق التوراة على جميع أبناء إبراهيم ما عدا إسحاق أبناء السراري، وليس هناك شريعة من عند الله تقر التفرقة العنصرية البغيضة بين الناس، فضلًا عن أن يكون ذلك بين الإخوة، وهو الأمر الذي تمتلئ به صفحات

(١) سفر التكوين: ١٧/ ٢٠.

(٢) سفر التكوين: ٢٥/ ١ -٢.

(٣) سفر التكوين: ٢٥/ ٥-٦.

التوراة، مع أن التوراة نفسها تمنع التفرقة بين الأبناء، فتقول:

«إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة، فولدت له بنين، فإن كان الابن البكر للمكروهة لا يحل له أن يقدِّم ابن المحبوبة بكرًا على ابن المكروهة البكر، بل يعرف ابنَ المكروهة بكرًا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده؛ لأنه هو أول قدرته، له حق البكورة»[1].

والمعروف أن البكورية عند اليهود ميراث روحي يعطى صاحبه عدة امتيازات يمتاز بها الابن البكر عن إخوته من أهمها:

١- أن يكون مكرسًا للرب.

٢- أن يكون مستودعًا للأسرار الإلهية، ونقلها إلى البشرية.

٣- حق وراثة كل مواعيد اليهود التي قطعها الرب مع إبراهيم.

٤- نيابة الابن الأكبر عن أبيه في البيت عند غيابه.

٥- أن يعطى نصيبًا زائدًا عن إخوته.

لذا فإن اليهود كانوا يلقبون كل كبير الأهمية بالبكر، ولعل من الأهمية أن نذكر بلا ريب، وطبقًا لنصوص التوراة أن كل مميزات البكورية وعلى رأسها مواعيد الله لإبراهيم إنما هي لإسماعيل وليست لإسحاق؛ لأن إسماعيل هو بكر أبيه إبراهيم ومن ثم فالوعد لإسماعيل، وليس

---

(١) سفر التثنية: ٢١/ ١٥.

لإسحاق[1].

مناقشة الوعود الإلهية التوراتية مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

من خلال قراءتنا وعرضنا للنصوص التي استند إليها الصهاينة في ادعائهم-أن الله منحهم أرض الميعاد، وهذا لهم وعد إلهي-وجدنا ما يأتي مبطلًا ادّعاءَهم، ومفندًا لحججهم، ومسقطًا لمزاعمهم:

١-إسماعيل وإسحاق قد اشتركا في دفن إبراهيم دون تفرقة بينهما: «وأسلم إبراهيم روحه، ومات بشيبة صالحة، ودفنه إسحاق وإسماعيل ابناه»[2].

٢-تتحدث التوراة عن ذرية إسماعيل قبل ذرية إسحاق: «وهذه مواليد إسماعيل بن إبراهيم الذي ولدته هاجر المصرية»، وعن مواليد إسحاق: «وهذه مواليد إسحاق بن إبراهيم، ولد إبراهيم إسحاق»[3].

٣-كثيرٌ من العرب صحبوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فلسطين، ونجاح موسى يعود إلى ما لقيه من عطف كاهن مدين الذي تزوج موسى من ابنته، والمديانيون هم العرب من نسل قطورة التي ولدت لإبراهيم ستة أبناء من بينهم مديان.

---

(١) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة: صـ١٥٨، أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة. صـ ٨، ٩.سفر التكوين: ١٧/ ٢٠.

(٢) سفر التكوين: ٢٥/ ٩.

(٣) سفر التكوين: ٢٥/ ١٩.

٤-تذهب التوراة إلى أن الذبيح هو إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع وعد الله لإبراهيم بأنه سيكون لإسحاق نسلٌ، وسيقيم الرب معه عهده، فكيف يذبح إبراهيم ابنه الموعود.

٥- «من النيل إلى الفرات أرضُك يا إسرائيل» إذا كان ذلك حقًّا، فكيف تذكر التوراة نفسها أيام إقامة بني إسرائيل في مصر في العصر الفرعوني على أنها أيام غربة: «اعلم يقينًا أن نسلك سيكون غريبًا في أرض ليست لهم، ويستعبدون لهم، فيذلونهم أربعمائة سنة»[١].

٦-تضارب الوعود بين إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فقد وعد إبراهيم آخر وعد من نهر مصر إلى نهر الفرات، ووعد إسحاق ويعقوب وموسى أرض كنعان فقط، فكيف أصبحت الآن لها هذه الحدود الشاسعة من النيل إلى الفرات.

٧-في التوراة أن الختان هو العهد بين الله وإسرائيل تمييزًا لهم من بقية الشعوب، مع أن الختان كان شعيرة ضرورية في مصر الفرعونية.

٨-انقسام مملكة بني إسرائيل التي لم تمتد إلى أقصى اتساعها يوما من الأيام، أي: أنها لم تصمد أكثر من ثلاثة أرباع القرن على أيام داود وسليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ فحسب (١٠٠٠-٩٢٢ ق.م)، ومن قبلها لم تتسع أكثر من دان إلى بئر سبع من الشمال إلى الجنوب هذا فضلًا عن أنها لم تشمل كل أجزاء فلسطين، ولو كان الوعد حقًّا لما تفرقوا، ولما انقسمت دويلتهم إلى

---

(١) سفر التكوين: ١٥/ ١٣.

مملكتين صغيرتين: إسرائيل وعاصمتها السامرة، ويهوذا وعاصمتها أورشليم.

٩-نص الوعد: «من النيل إلى الفرات» يتناقض مع تحذير رب إسرائيل لبني إسرائيل من دخول أرض أدوم أبناء عيسو أخو يعقوب: «أنتم مارّون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير، فاحترزوا جدًّا لا تهجموا عليهم؛ لأني لا أعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم»(١).

ولعبت المرأة دورًا هامًا في تغيير الوعد من إسماعيل إلى إسحاق: «ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها؛ لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق»(٢).

وهكذا **أخرجت التوراة** إسماعيل جد العرب من الوعد لا لشيء؛ إلا لأن سارة جدة اليهود أرادت ذلك (على زعمهم)، وكذلك الأمر مع إسحاق وزوجته رفقة التي كانت تحب يعقوب أكثر من أخيه عيسو، فاحتالت على إسحاق ليأخذ يعقوبُ بركته (٣) كما كان من قبل، وكما أرادت سارة.

---

(١) سفر التثنية: ٢/ ٤، ٥.

(٢) سفر التكوين: ٢١/ ١٠.

(٣) "١٨فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: «يَا أَبِي». فَقَالَ: «هأَنَذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟» ١٩فَقَالَ يَعْقوب لأَبِيهِ: «أَنَا عِيسو بِكْرِكَ. قَدْ فَعَلْت كَمَا كَلَّمْتَنِي. قمِ اجْلِسْ وَكلْ مِنْ صَيْدِي لِكَيْ تبَارِكَنِي نَفْسكَ». ٢٠فَقَالَ إِسْحَاق لابْنِهِ: «مَا هذَا الَّذِي أَسْرَعْتَ لِتَجِدَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ: «إِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي». ٢١فَقَالَ إِسْحَاق لِيَعْقوبَ: «تَقَدَّمْ لأَجسَّكَ يَا ابْنِي. أَأَنْتَ هوَ ابْنِي عِيسو =

• المطلب الرابع: عدم تحقيق الوعد طوال عصر التاريخ

لم يتحقق الوعد مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا مع إسحاق، ولا مع يعقوب، ولا حتى مع موسى، أو داود، وسليمان، عليهم جميعًا الصلاة والسلام، كما تزعم التوراة.

أولا: مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: لقد انتهى المطاف بإبراهيم بعد رحلاته المتعددة من العراق إلى فلسطين، ومن فلسطين إلى مصر، ومن مصر إلى فلسطين ثانية، ومن فلسطين إلى الحجاز حيث أسكن إسماعيل هناك، وبنى البيت الحرام، وأخيرًا لفلسطين حيث لقي ربه الكريم، وفي كل ذلك لم ينل إبراهيم من الوعد شيئًا ما عدا المال المنقول، والمذابح التي بناها لتقديم القرابين، حتى إنه عند موت زوجته سارة لم يجد مكانًا يدفنها فيه، فاشترى مغارة المكفيلة من «عفرون بن صوجر»، -ودفن هو فيها بعد ذلك-: «وماتت سارة في قرية أربع التي هي حبرون، وقام إبراهيم من أمام ميِّتِهِ، وكلم بني حِثَّ قائلًا: أنا غريب ونزيل عندكم، أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي، بعد ذلك دفن إبراهيم سارة امرأته في مغارة جبل المكفيلة التي هي حبرون»[(١)].

ثانيا: مع إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم يكن حظ إسحاق في تحقيق الوعد بأفضل من حظ أبيه إبراهيم، فقد أقام في ضيافة أبيمالك (من ملوك كنعان) التي تبعد

=

أَمْ لاَ؟». ٢٢فَتَقَدَّمَ يَعْقوب إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّه وَقَالَ: «الصَّوْت صَوْت يَعْقوبَ، وَلكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عِيسو٢٣» ".سفر التكوين: ١٨/ ٢٣.

(١) سفر يشوع: ١٥/ ١٣.

١٣كم جنوب شرق غزة، ثم نزل في وادي جرار، ثم إلى ممرا، ثم إلى حبرون حيث مات هناك، ودفن بجوار أبيه إبراهيم وأمه سارة، ولم يتحقق في عصره من الوعد شيءٌ.

ثالثًا: مع يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ورد في التوراة أن كنعان كانت أرض غربة لإبراهيم وبنيه: «وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان»(١).

ويستأذن يوسف فرعون أن يذهب بجثمان أبيه؛ ليدفنه في أرض كنعان، ويدفن مع إبراهيم وإسحاق وسارة ورفقة في مغارة المكفيلة، وهكذا لم يكن نصيب يعقوب من أرض الميعاد إلا مكانًا يواري فيه جثمانه مع آبائه.

رابعًا: مع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ويأتي زمان موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويخرج ببني إسرائيل من مصر فارًّا بهم من فرعون، ويكتب عليهم التيه في صحراء سيناء أربعين سنة، ومات موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ودفن في أرض مؤاب بعد أن نظر إلى أرض الميعاد، ولم يدخل أبدًا أرض الميعاد؛ لأن رب إسرائيل قد حرّم عليه أن تطأ قدماه أرض الميعاد، ودخلها بنو إسرائيل بعد موسى حتى إذا ما أتى القرن العاشر قبل الميلاد أقام داود (١٠٠٠ –٩٦٠ ق.م)، وسليمان (٩٦٠ – ٩٢٢ ق.م) عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ دويلة صغيرة في أرض كنعان سرعان ما انقسمت بعد موت سليمان مباشرة، ولم يقدّر لليهود يومًا أن يبسطوا سلطانهم على الضفة الغربية، ومن هنا كان الكنعانيون من ناحية، والفلسطينيون من ناحية أخرى يضعون بني إسرائيل بين شقى الرحى، الأمر الذي دعا بني إسرائيل إلى الوحدة، والاعتصام، وإلا ذهبت ريحهم، وطردوا من فلسطين، وهذا ما

(١) سفر التكوين: ٣٧/ ١.

حدث بالفعل على يد الآشوريين سنة ٧٢٢ ق.م، ثم البابليين ٥٨٧ ق.م.

وبهذا انتهت دويلة اليهود في فلسطين باستثناء عهد إعادة بناء الهيكل (زر بابل ٥٣٨-٥١٥ ق.م)، ثم هيكل هيرودس (٢٠ ق.م) حتى أتى عام ٧٠م، ودمر طيطس الهيكل تدميرًا، وجاء عام ١٣٥م، وسوّى أدريان معالم المدينة، ولم يُبقِ من اليهود أحدًا[١].

المبحث الثاني

مناقشة ادعاء اليهود أرض الميعاد من الجانب التاريخي

- **المطلب الأول: موجز عن تاريخ بني إسرائيل «اليهود»**

أولًا: نشأة بني إسرائيل (١٨٠٠-١٦٧٥ ق.م)

ينتسب بنو إسرائيل إلى نبي الله يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فهو المسمى بإسرائيل، والذي ولد ونشأ بأرض فلسطين حيث استقر المطاف بجده إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عقب عودته من مصر، ثم إلى الجزيرة العربية، ومكة المكرمة، ثم عودته إلى أرض فلسطين حيث قضى نحبه بها.

ثانيًا: بنو إسرائيل في مصر (١٦٧٥ – ١٢٥٠ ق.م)

ولد ليعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اثنا عشر ولدًا، وهم: يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وإخوته، ثم انتقل يعقوب وبنوه إلى أرض مصر بعد أن أصبح يوسف ابنه وزيرًا لخزائن مصر، واستدعى أهله بعد أن نزغ الشيطان بين يوسف وإخوته، والقصة

---

(١) أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة: صـ١٦.

مبسوطة في سورة يوسف، واستقر بهم المقام هناك في أفضل المناطق وأحسنها، وقد كان حكام مصر آنذاك من الهكسوس، فلاقى بنو إسرائيل منهم كل إكرام وتبجيل، غير أن الأمر لم يستقم على ما هو عليه؛ إذ ما لبث أن زال حكم الهكسوس في حوالي القرن السادس عشر قبل الميلاد، وتولت الأسرة التاسعة عشر المصرية إدارة دفة الحكم في البلاد، وقد لاقى بنو إسرائيل منهم كل ذل وهوان، وخاصة في عهد رمسيس الثاني، فكانوا كما أشار القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩].

وأغلب الظن أن هذا التغيير والانقلاب في الحال لم يحدث لهم إلا بعد أن ابتعدوا عما كان عليه آباؤهم إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهذه سنة الله في خلقه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وكما هي العادة، فقد اقتضت سنة الله في أن يبعث لهم رسولًا، فكان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد ذكر القرآن المجادلات التي حدثت بينه وبين فرعون مصر، والتي انتهت بخروج بني إسرائيل في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بقيادة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من مصر، وأغرق الله فرعون وجنوده أمام أعين موسى، ومن نجا معه[1].

ثالثًا: بنو إسرائيل في برية سيناء (١٢٥٠-١٢١٠ ق.م)

لقد سرد لنا القرآن الكريم قصة بني إسرائيل بعد هذا الخروج بصورة

---

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم. محمد عزة دروزة، صـ٦، ط/ بيروت ١٩٨٩.

تكشف عن طبيعة النفسية اليهودية وأفكارهم؛ إذ لم يلبثوا أن رأوا قومًا يعبدون الأصنام، فطلبوا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن تكون لهم آلهة محسوسة ملموسة كهذه يعبدونها، فنهاهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨ – ١٤٠].

ثم بعد ذلك تعجل موسى لقاء ربه، فذهب للقائه بعد أن أمر أخاه هارون أن يقوم مقامه في قومه، فانقلبت طائفة من بني إسرائيل، وصنعوا عجلًا جسدًا له خوار فعبدوه، وقد أوحى الله إلى موسى يخبره بحال قومه، ثم تاب الله عليهم، وأمرهم بدخول فلسطين، فتخاذلوا عن ذلك وخارت عزائمهم، فضرب الله عليهم التيه في برية سيناء أربعين عامًا توفي في أثنائها هارون وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

رابعًا: بنو إسرائيل في فلسطين (١٢١٠– ١٢٠٠ ق.م)

دخل الجيل الجديد من بني إسرائيل أرض فلسطين من الجهة الشرقية بزعامة يوشع بن نون، الذي قاتل الجبابرة[(١)]، واستولى على أريحا، ومناطق عدّة من فلسطين، وعبر نهر الأردن، وقاتل من بقي من الكنعانيين، وانتصر عليهم[(٢)].

---

(١) الجبابرة: هم الأموريون، أول شعب سامي استوطن سوريا وأقام بها، وانتشروا بعد ذلك في لبنان وفلسطين.

(٢) تاريخ القدس: صـ٣٨، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: صـ٦٨، والبداية والنهاية: جـ١ صـ٣١٨، وتاريخ الأمم والملوك للطبري: جـ١ صـ٤٣٣.

خامسًا: بنو إسرائيل في عهد القضاة (١٢٠٠ – ١٠٠٤) ق.م

تولى أمور بني إسرائيل بعد يوشع بن نون قضاة منهم نشؤوا فيهم، واشتهروا بأعمالهم الحربية، وبسالتهم، فكانوا يفصلون بين الشعب أيام السلم، ويتولون الأحكام، ويدفعون عنه شر الغزاة الذين كانوا يغيرون على البلاد من آونة لأخرى، وقد بلغ عدد هؤلاء القضاة خمسة عشر قاضيًا، وكانت مدة حكمهم بعد يوشع مائتي سنة، اعترف الإسرائيليون بالولاية لهم، وفزعوا إليهم في فض مشاكلهم، وحسم منازعاتهم، فيقضون بينهم بحسب شريعة الله، وبحسب ما يوحيه إليهم التقليد والعقل السَّليمانِ، غير أن هذه الحالة لم يستمر عليها بنو إسرائيل؛ إذ إنهم لم يلبثوا أن طلبوا من آخر قضاتهم صموئيل النبي (١٠٢٠ –١٠٠٤ق.م)-كما أشار إلى ذلك ابن كثير والزمخشري والمراغي أن ينصب لهم ملكًا يقاتلون معه فولّى عليهم طالوت ملكًا، وإلى هذا يشير القرآن الكريم: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا... ﴾ الآيات [البقرة: ٢٤٧-٢٤٩]، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن النبي المراد في الآية السابقة الكريمة هو (شموئيل) معرّب (صموئيل)[١].

سادسا: بنو إسرائيل في عهد الملوك (١٠٠٤ –٥٨٦ ق.م)

بدأ هذا العهد سنة (١٠٠٤ ق.م، وانتهى ٥٨٦ ق.م) بسبي اليهود وإزالة ملكهم، وتولى الملك بعد طالوت داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي قاتل الجبارين، وقتل

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري:١/ ٣٧٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير:جـ١ ص٣٠٠، تفسير المراغي: جـ٢ صـ٢١٤.

زعيمهم جالوت قال الله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقد اتسعت دولة بني إسرائيل في عهده وازدهرت، وخلفه ابنه سليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وقد توفي سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سنة ٩٢٨ ق.م، وخلفه ابنه رحبعام، والذي لم يكن علي قدر من الحنكة والسياسة، فضعفت الدولة في عهده، وانقسمت إلى مملكتين:

١ – **مملكة إسرائيل الشمالية (٩٢٨-٧٢٠ ق.م)**: وتتكون من عشرة أسباط انشقوا عن رحبعام بن سليمان، وكونوا مملكة إسرائيل، وجعلوا عاصمتها السامرة، وكانت أكثر ثراءً، وأكثر تعرضًا للغزو الأجنبي من المملكة الجنوبية، ولم يكن لملوكها سياسة خارجية واضحة، وكانت غير مستقرة سياسيًّا حكمها تسعة عشر ملكًا ينتمون إلى تسع أسر خلال واحد وثلاثين عامًا، مات منهم عشرة عن طريق العنف، وبقى في الحكم سبعة ملوك، حكم كل واحد منهم أقل من سنتين، وكان أول ملوكها يربعام الأول (٩٢٨ – ٩٠٧).

٢ – **مملكة يهوذا الجنوبية (٩٢٨-٥٨٦ق.م)**: كانت تحت رئاسة قبيلة يهوذا، وعاصمتها القدس كانت أكثر استقرارًا من المملكة الشمالية لصغر حجمها، وقلة أهميتها السياسية والاقتصاديّة، وفقرها وبعدها عن طرق الجيوش الغازية ظهر فيها معظم الأنبياء، كما دوّنت فيها معظم نصوص العهد القديم، وكان أول ملوكها رحبعام بن سليمان (٩٢٨ – ٩١١ ق.م)، وتكونت من سبطَي يهوذا وبنيامين، وقد حاصر الأشوريون مملكة يهوذا،

وفي سنة ٦٠٨ ق.م زحف فرعون مصر إلى مملكة يهوذا فاحتلها، ثم احتل مملكة إسرائيل، ثم غزاها بختنصر عام ٥٩٧ ق.م ثم غزاها مرة أخرى، وحطمها نهائيًّا عام ٥٨٧ ق.م، وسبى الكثير من سكانها في بابل (السبي المشهور)، وقضى على مملكتي إسرائيل ويهوذا.

وقد مرت السيطرة البابلية على دويلة يهوذا بسياستين:

الأولى: التبعية والموالاة. الثانية: القهر والإذلال والقضاء على كيان الدويلة نفسها، واستعباد السكان بالسبي والرق.

ولما استولى قورش ملك فارس على بابل أعاد اليهود من أسر بابل سنة ٥٣٨ ق.م، لكنهم لم يؤسسوا دولة، فقد كانت عودتهم تمثل جماعة تابعة للحكم الفارسي خاضعة له.

ثم وقعوا تحت أسر السوريين السلوسيين سنة ٢٠٣ ق.م، ثم قام الكاهن مكابياس اليهودي بثورة فاشلة سنة ١٦١ ق.م، فدفع حياته ثمنًا لفشله، ولم يحقق شيئًا من الاستقلال لليهود، وبعد ذلك وقعوا تحت حكم الرومان(١).

وفي عام ٧٠م قام الإمبراطور الروماني طيطس بتدمير الهيكل الذي بناه زر بابل، وفي مطلع سنة ١٣٢م قام باركوكبا يسانده الحاخام أكيبا بحركة ثورية ضد الإمبراطور الروماني هادريان، ولكن القائد الروماني تمكن من إخماد الثورة، ودخل أورشليم بعد تدميرها، وأقام معبدًا للإله جوبيتر مكان

(١) القدس عبر العصور، خالد عمّار: صـ٢٤، ٢٥ .بتصرف، وأهمية القدس في الإسلام، عبد الحميد السايح: صـ١١٠.

المعبد اليهودي القديم، وفي عام ٣٢٠م عندما عاد القائد بطليموس إلى مصر بعد غزو فلسطين رافقه عدد كبير من اليهود واتخذوا من الإسكندرية موطنًا لهم وهؤلاء اليهود الذين استوطنوا الإسكندرية لم يفكروا إطلاقًا في العودة إلى أورشليم، فقد استقروا في موطنهم الجديد، وتأثروا بالبيئة اليونانية المحيطة بهم، كما تركوا بدورهم أثرهم في هذه البيئة بما حملوه من تعاليم دينية، وإبّان الحكم الروماني على فلسطين كان عدد المؤمنين باليهودية في أنحاء العالم أضعاف العدد الموجود في الأرض المقدسة.

ولما فتح المسلمون بلاد الشام شعر اليهود الذين تبقوا فيها بالاستقرار لأول مرة في تاريخهم الطويل والقلق، وعاشوا عيشة ناعمة في ظل الإسلام يتمتعون بمكاسبهم المادية، ويمارسون شعائرهم الدنيوية دون ما تدخل من أحد، واشتغلوا بالتجارة، وازدهرت حالهم في عواصم بلاد الإسلام مثل بغداد، والقاهرة، ودمشق، وقرطبة، ومن أوائل القرن التاسع الميلادي صار لهم مراكز في القاهرة، وفارس، والمغرب، وحظوا بالقربى من خانات المغول المسلمين[١].

وخلاصة القول: إن العبرانيين كانوا دخلاء على هذه الأرض دون أن يكون لهم جذور فيها، ومع ذلك فقد امتنعت عليهم فلسطين جارة الكنعانيين، بل وهزمهم الفلسطينيون في كل المعارك التي التقوا بهم على أرضها، وأوقفوا تقدمهم المرة تلو المرة في منطقة التلال الداخلية، أما

(١) اليهود واليهودية التاريخ والعقيدة والأخلاق، د/ السيد أحمد فرج: صـ٤٦.، ما ثمن إسرائيل الفرد، ليلنتال ترجمة ياسر هواري: صـ١٣.

السواحل البحرية فقد بقيت في أيدي الفلسطينيين، وفي المناطق التي كان يدخلها اليهود الغزاة كانوا يجدون مقاومة من سكان فلسطين الأصليين، وأن مدة وجودهم كمحتلين لهذه الأرض من دخول يوشع حتى سقوط دويلة يهوذا حوالي خمسة قرون كان البابليون والسوريون من الشمال والمصريون من الجنوب يشعرون خلالها بأن اليهود جنس غريب-مع أن اليهود خير منهم يومئذ- أكثر تخلفًا، وانحطاطًا، ومرضٌ معدٍ يجب استئصاله من المنطقة، ولم يكن لهم بال حتى قضوا عليها المرة بعد المرة، ولكن كانت تعيدهم قوة أخرى، كما فعل معهم قورش الفارسي، ومع هذا فقد قضى عليهم نهائيًا، وانتهت أحلام اليهود القديمة على هامش الحقيقة الكبرى المتمثل في تاريخ مصر، وسوريا، وبابل، وآشور، وفينيقيا في ذلك الزمن القديم[١].

سابعًا: اليهود في العصر الحديث:

بعد الفتح الإسلامي عاش اليهود في ظل سماحة الإسلام، وعدله، وحمايته للذميين والمعاهدين عيشة الرخاء والسعادة، وهم قلة متفرقون، بعد أن طهّرت الجزيرة العربية من طوائف اليهود (بني قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة ويهود خيبر) حتى استقر أكثرهم بالشام خاصة في أذرعات.

وظل اليهود كذلك مشتتين تعاني الدول من فساد أخلاقهم، وغدرهم،

(١) دائرة المعارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي: جـ١ صـ٢٨٤. مقارنة الأديان اليهودية، د/ أحمد شلبي: صـ ٨٢.

وخيانتهم، ولاقوا أشد أنواع الاضطهاد في زمان هتلر وما بعده حتى طرحت فرنسا لأول مرة فكرة توطين اليهود في فلسطين مقابل مساندة اليهود للحملات الفرنسية لاحتلال الشرق الإسلامي.

وفي عام (١٧٩٨م) فور وصول نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية على مصر أصدر نابليون بيانًا حثّ فيه جميع يهود آسيا وأفريقيا على الالتفاف حول رايته من أجل إعادة مجدهم الغابر، وإعادة بناء القدس القديمة، ولما تولى الوالي العثماني محمد علي حاكم مصر جعلت بريطانيا تفكر جديًا في توطين اليهود في فلسطين لحماية مصالحها في تلك الديار، ومن ثمّ قامت بريطانيا بافتتاح أول قنصلية لها في القدس في يوليو سنة ١٨٣٨م برئاسة المستر يانج، وكانت القوانين العثمانية تنص بصراحة ووضوح على منع بيع الأراضي والعقارات في القدس وضواحيها لليهود، ومارست بريطانيا ضغطًا بحيث تصبح القدس مفتوحة لليهود، وتمكن موسى مونتفيوري في عام١٨٥٥م من الحصول على فرمان من السلطان عبد الحميد تسنى له بموجبه شراء أول قطعة أرض في القدس خارج سور المدينة القديمة، وبدلًا من أن يقيم عليها مستشفى -كما ورد في الفرمان- أقام عليها أول حي سكني يهودي عرف فيما بعد باسمه حي «مونتفيوري»[(١)].

وفي **١٨ أكتوبر سنة ١٨٩٨م** تمكّن هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية من مقابلة القيصر في العاصمة العثمانية الأستانة، وعرض عليه مشروعه

(١) موسوعة اليهود واليهودية: جـ٤، صـ٩٦، والقدس قضية كل مسلم. د/ يوسف القرضاوي: صـ٤٩.

الاستيطاني في فلسطين تحت الحماية الألمانية، وعلى هذا يمكننا الإشارة إلى أنه لم يحدث في تاريخ مدينة القدس ما يشكك في أصولها العربية وهويتها الإسلامية حتى أصدرت الحكومة البريطانية في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧م تصريح بلفور، والذي تضمن وعدًا بريطانيًا بتمكين اليهود من إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، وصدر هذا التصريح في ظل ظروف سياسية اقتضتها الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م–١٩١٨م)، وعندما تهيأت الظروف، وانتقل النشاط الصهيوني إلى الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م–١٩٤٥م) أخفقت الصهيونية في تهويد القدس الشريف حتى أحالت حكومة الانتداب البريطانية القضية الفلسطينية برمتها إلى هيئة الأمم المتحدة في مايو عام ١٩٤٧م، وقد جدد برنادوت مقترحاته في صدور التعديلات الإقليمية التي يرى إدخالها على مشروع التقسيم، وقدمها إلى هيئة الأمم في ٢٧ يونيو ١٩٤٨م، وأعلنت إسرائيل دولة رسمية من وقتها وطمع الإسرائيليون وساستهم في ضم المزيد من الأراضي حتى يتحقق لهم ما ترنوا إليه أبصارهم من جعل القدس بكاملها العاصمة لدولتهم، ويعد ذلك أحد الأسباب التي دفعت إسرائيل لشن عدوانها الغاشم في سنة ١٩٦٧م.

وبدأت الانتهاكات الإسرائيلية للمقدسات الدينية بعد احتلال إسرائيل للقدس في عام ١٩٦٧م، كالحريق الذي اندلع في المسجد الأقصى، والاعتداءات والحفريات التي تعرض لها المسجد مع ترويع الآمنين، وهدم المنازل، وقتل الأبرياء، ونقض العهود والمؤتمرات، وصدق الله العظيم إذ

يقول: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

• المطلب الثاني: موجز عن تاريخ القدس عبر أطوار مختلفة

بعدما قدمنا عرضًا موجزًا عن تاريخ بني إسرائيل، ونشأتهم نتناول مدينة القدس، وتاريخها، وساكنيها لنتبين وجه الحق في أحقية الملكية والشرعية لهذه المدينة، وهل لليهود حق في تملك القدس وفلسطين؟ أم أنه مجرد ادعاء لا تثبت له أقدام؟ وللإجابة عن هذا التساؤل نوضح ما يلي:

أولًا: من المسلّم به من الوجهة التاريخية أن اليهود ما عرفوا فلسطين عامة، والقدس خاصة إلا غزاة محتلين، أو بدوًا مهاجرين، ولقد كان العبرانيون في الأصل من البدو الرحّل الذين يعيشون على أطراف المدينة، وينتقلون على الطرق الأساسية للتجارة، ومن المعلوم قطعًا أن موسى وهارون عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ لم يدخلا فلسطين.

وتفيد التوراة أن يوشع بن نون – فتى موسى عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ –حين دخل فلسطين –وهي أرض كنعان حفيد نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ– أعمل القتل والإبادة في مدنها، وبعد غزو العبرانيين أُطلق على تلك الأرض أرض إسرائيل والأرض المقدسة، وأرض الموعد، وأرض العبرانيين، وبنو إسرائيل ليسوا سكان فلسطين الأصليين، وهناك شعوب وأقوام سابقون سبقوا إلى تلك المنطقة، وهم عرب أقاموا في تلك المنطقة في الألف الثالثة قبل الميلاد[(١)].

---

(١) اليهودية. د/ أحمد شلبي: صـ٩٠.

ومرت القدس بأطوار مختلفة (يبوس – أورشليم-إيلياء-بيت المقدس)

الطـور الأول (يبـوس): سكن اليبوسيون القدس، وهم أقدم سكانها، وأطلق على المدينة اسم يبوس نسبة إلى أحد أولاد كنعان، ويرجع تاريخ وجودهم في المدينة إلى حوالي ٣٠٠٠ سنة ق.م، واليبوسيون بطن من بطون العرب الأوائل نشؤوا في الجزيرة العربية، ثم نزحوا عنها مع القبائل الكنعانية، ومن ملوكهم: (**ملكي صادق**)، وكان أول من خطط لبناء مدينة يبوس (القدس)، ثم قام بتحصينها، وكان قبل ذلك يسكن هو وقومه الكهوف، عرف بالتقوى، وكان محبًّا للسلام حتى أطلق عليه ملك السلام، ومن هنا جاء اسم المدينة (سالم) أو (شالم)، وعرفت بعد ذلك باسمها الكنعاني (أوروسالم)، أي: مدينة السلام، واختيار اليبوسيون هذا الموقع (القدس) اختيارٌ موَّفقٌ، فهو موقع استراتيجي منيع حصين لا يُغري أحدًا للذهاب إليه أو الإغارة عليه، فهو على ربوة مثلثة الشكل، أي: تل مرتفع يتراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠-٢٤٦٩ قدمًا، فهي تقع على خط عرض ١٣٣١ / ٤٥ شمال خط الاستواء، وعلى خط طول ١٣٣٥ / ٢٥ شرق جرينتش، وقد شيد أحد ملوكها (سالم اليبوسي) برجًا بقصد الدفاع عن المدينة فوق الهضبة الجنوبية فوق جبل (صهيون)، وكانت مدينة يبوس ذات أهمية من الناحية التجارية، فهي تقع بين طريقين من أهم طرق التجارة طريق يربط البحر بالصحراء، والآخر يربط حبرون (الخليل) ببيت إيل من أعمال رام الله، ولما تفرقت كلمة اليبوسيين استغل العبرانيون الفرصة فراحوا يغزونهم، وكادوا يقتحمون مدينتهم؛ وذلك لأن العبرانيين كانوا كلما دخلوا مدينة

أعملوا السيف والنار فيها، وفي سكانها، ومنهم – أي: من اليوسيين – اشترى داود الأرض التي بنى عليها الهيكل كما سبق بيانه: «فقال داود: لأشتري منك البيدر لكي أبني مذبحًا للرب»[1].

ويضاف إلى تأكيد الهوية العربية أن من أسماء القدس (أورشليم)، وقد جاءت من (أورسالم)، أي: مدينة السلام، وهي كلمة بيوسية (يورشليم) من مقطعين (يور) بمعنى: يؤسس أو مدينة، (شالم) أو (شليم) بمعنى الإله السامي للسلام، وقد ورد اسمها في الكتابات المصرية المعروفة كما وردت في مراسلات تل العمارنة[2].

الطور الثاني (إيليا): لقد تم تدمير القدس والهيكل مرات عدّة سبق بيانها، والآن مع وقفة مع هيكل هيردوس آخر وجود للهيكل اليهودي الذي تم على عهد طيطس الروماني سنة ٧٠م.

لقد أمر الأباطرة الرومان في ذلك الوقت بدءًا من عهد فسباسان (٧٠–٧٩م) إلى عهد تراجان (٩٨–١١٧م) بالبحث عن أي يهودي يزعم أنه من سلالة داود؛ لإعدامه، وضربت القدس، وكان يصعب على الزائر أن يصدق أن أورشليم يومًا كانت مدينة مأهولة، أما سبب هذه التسمية إيليا أو إيلياء، فإن الرومان عندما غزو أرض فلسطين عمد الإمبراطور الروماني (إيليوس هدريان) (١٣٠–١٣٨م) إلى إكمال ما بدأه طيطس من هدم المدينة

---

(١) سفر صموئيل الثاني: ٢٤/ ١١.

(٢) تاريخ القدس: صـ٤٠، وأهمية القدس في الإسلام: صـ١٣.

والهيكل، وأجلى عنها اليهود، وأقام مكان المعبد هيكلًا لوثن الرومان (جوبيتر)، وهو كبير آلهتهم، ووضع في المعبد تمثالًا لهذا الإله المزعوم، كالتمثال الذي في معبد (الكابيتول) الروماني، وقرر الإمبراطور (إيليوس هدريان) محو وتغيير كل أثر لليهودية في المدينة المقدسة حتى اسمها، فإنه اختار اسمًا جديدًا يتكون من كلمتين إحداهما مأخوذة من اسمه هو (إيليوس)، والثاني من اسم معبد الرومان (كابيتول)، فأصبح اسم المدينة (إيليا كابيتولينا)، ويقال: إن معنى (إيلياء) بيت الله، كما أن تسمية المدينة ببيت المقدس معروفة عند العرب كما في حادثة الإسراء في السيرة النبوية، ومن أسمائها أيضا: القدس، والأرض المقدسة، والأرض المباركة، وهي تسميات ثابتة في القرآن والسنة[1].

<u>**الطور الثالث (بيت المقدس):**</u> ظل بيت المقدس في قبضة الرومان الوثنيين، ثم المسحيين لمدة سبعة قرون تقريبًا من عام ٦٤ق.م حتى ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي، وحدثت مواجهات بين المسلمين والرومان، ففي غزوة مؤته (٨هجرية-٦٢٩م) كانت الطليعة الأولى لتلك المواجهات، ثم غزوة تبوك (٩هـ- ٦٣٠م)، ثم كان بعث أسامة بن زيد في السنة الحادية عشرة من الهجرة ٦٣٢م، ثم كانت فتوحات أبي بكر الصديق سنة (١٣هـ- ٦٣٤م) حيث وجهت أربعة جيوش إلى بلاد الشام بقيادة يزيد بن أبي سفيان وأبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وشرحبيل بن

---

(١) قبل أن يهدم الأقصى: صـ٦٧، المسلمون واسترداد بيت المقدس محمد محمد الفحّام. صـ٢٨، ط/ مجمع البحوث الإسلامية.

حسنة، ثم سيّر أبو بكر جيشًا آخر بقيادة خالد بن الوليد، ثم كانت خلافة عمر واستمرت الفتوحات في بلاد الشام، وفي سنة (١٥هـ-٦٣٦م) حاصر أبو عبيدة بيت المقدس حتى أجابه أهلها إلى الصلح على أن يكون المتولي للصلح عمر بن الخطاب، فاستجاب لذلك عمر واستقبله صفرونيوس بطريرك بيت المقدس، فأعطاه عمر وثيقة الأمان المعروفة بالعهدة العمرية.

- **المطلب الثالث: الوثيقة العمرية**

كتب عمر بن الخطاب وثيقة لنصارى بيت المقدس يوم فتحت هذا نصها:

«**بسم الله الرحمن الرحيم،** هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء

رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة»[١].

وأقام عمر مسجدًا في القدس أمام الصخرة، بعدما طرح بنفسه ومن معه القمامة من المكان الذي اتخذه مسجدًا، ثم جاء عبد الملك بن مروان فبنى مسجد قبة الصخرة، ويعتبر آية في العمارة الإسلامية، كما قام ببناء المسجد الأقصى، وكان المبدأ في ذلك المعمار عام ٦٦ هـ—٦٨٥م، وأوقف عبد الملك خراج مصر لسبع سنين لتشييدهما، وتم البناء عام ٧٢-٧٣هـ، وعهد بذلك لأبي المقدام رجاء بن حيوة، ومعه يزيد بن سلام، ولما فرغ من البناء، وبقى مائة ألف دينار كتب إليهما الأمير قد أمرت بها لكم جائزة لما وليتها من عمارة البيت الشريف المبارك فكتبا إليه: «نحن أولى أن نزيده من حلى نسائنا فضلًا عن أموالنا»، وبلغ التسامح في الإسلام مبلغه حين استخدم المسلمون بعض الخدم من اليهود والنصارى، كما أطلقوا على بعض أبواب المسجد الأقصى أسماء أنبياء بني إسرائيل: باب داود وباب سليمان، وسموا أحد الأبواب باب حطة.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢/ ٤٩٩) وتاريخ القدس: صـ١٥٤، وقبل أن يهدم الأقصى: صـ٨٧، ٨٨.

ويستفاد من تلك الكتابات السابقة:

١ – حكم داود وسليمان عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ الممالك اليهودية وفلسطين بعد أن رفض اليهود دخولها زمان موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، ولكنهم دخلوا بأمر الله أيام يوشع بن نون فتى موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

٢– لم يُبق لنا تاريخ إلا أن نعترف بعروبة القدس ابتداءً وانتهاءً دون النظر إلى هذه الترّهات والأباطيل التي يروجها الصهاينة الملحدون، وما هم عليها إلا غزاة محتلون، ولقد أمرهم الله بدخولها من زمان نبيهم موسى فأبوا وجبنوا.

٣– طبعت القدس بطابع إسلامي، وعادت إليها عروبتها، وقدم عليها العرب المسلمون واستوطنوها، وعنى بها الخلفاء والأمراء من عهد الخلافة الراشدة إلى الدولة العثمانية، ويعد عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد من أعظم العهود التي مرّت بالمدينة المقدسة عمارة، وتشييدًا واكتسيت المدينة المقدسة الطابع الإسلامي الواضح.

٤– التسامح الإسلامي مع جميع الطوائف، فبعد الفتح مباشرة وافق صفرونيوس على عدم السماح لليهود بسكنى بيت المقدس، وكان قد حظر على اليهود سكنى أورشليم ونواحيها منذ أمد طويل، غير أن عمر قام بإلغاء ذلك الترتيب فيما بعد، فلم يكن هناك سبب وجيه لأن ينكر على اليهود حق سكنى مدينة داود، ولذا قام عمر بدعوة سبعين عائلة من طبرية للاستيطان في بيت المقدس، وخصصت لهم المنطقة الواقعة حول بركة سلوام في الركن الجنوبي الغربي من الحرم، وأنه من المؤكد أن النظام سمح للناس من

مختلف العقائد أن يتعايشوا في تناغم نسبي، وضمن بشكل أساسي بأن تعامل الأقليات معاملة شرعية كريمة، ونعم سكانها في ظل الحكم الإسلامي على اختلاف مراحله بالاستقرار، والأمان، والتسامح، وحرمة التدين.

المبحث الثالث

مناقشة ادعاء اليهود أرض الميعاد من الجانب القانوني

- **تمهيد**

فتح وعد بلفور عام ١٩١٧م، والانتداب البريطاني الذي تلاه، والذي تضمن هذا الوعد، آفاقًا جديدة لم تكن الصهيونية لتحلم بها، وكان الغرض الرئيس لنظام الانتداب خلق البيئة الملائمة للصهيونية لإرساء قواعدها في البلاد، وأحدث ثورة جذرية في الأوضاع الراهنة على جميع المستويات:

أولًا: بالنسبة إلى التوازن العددي عن طريق هجرة اليهود.

ثانيًا بالنسبة إلى ملكية الأرض الزراعية عن طريق الزيادة المطردة لمساحة الأراضي التي في حوزتهم.

ثالثًا: بالنسبة إلى الوضع الاقتصادي عن طريق الاستيلاء على مرافق البلاد الحيوية.

ولقد حاولت الصهيونية منذ البدء أن تقلب الوضع الراهن بالنسبة إلى الأماكن المقدسة، وركزت جهودها على الحائط الغربي، ولم يكن للصهيونية حينذاك العنفوان الذي لهم اليوم، ولذلك لم تكن وسائلها

الجرارات التي تزيل بها الآثار العربية من أسسها بين عشية وضحاها(١).

أما أساليب الصهيونية وقتها في إثبات حقوقهم أو ادّعائهم فهي جلب الكراسي والمصابيح والستائر من قبل المصليين اليهود على غير عادتهم السابقة، ووضع هذه الأدوات أمام الحائط حتى يحدثوا سابقة تمكنهم من التقدم إلى الادعاء بحق ملكية الأرض التي يضعون هذه الأدوات عليها، وانتبه العرب والمسلمون إلى هذه الحيلة، وأخذوا بالاحتجاج لدى الحكومة المنتدبة على هذا الخرق للوضع الراهن، وأدى التوتر عند الحائط إلى انفجار عربي مسلح، وثورة عارمة ضد الجاليات اليهودية في القدس وغيرها من المدن الفلسطينية ردًّا على المؤامرة الصهيونية على الحائط الغربي، وكان ذلك الانفجار والثورة عام ١٩٢٩م.

- **المطلب الأول: وعد بلفور وصك الانتداب**

أولًا: **وعد بلفور ١٩١٧ م**: الصادر عن الحكومة البريطانية في ١٩١٧م إلى الصهيونية الدولية بإنشاء وطن قومي في فلسطين، وهذا الوعد باطل لأسباب:

١) كان وعد بلفور يتعلق بأرض لا صلة قانونية لبريطانيا بها، ويعطي هذه الأرض لمن ليس له أية صفة لتسلمها، وهو ليس اتفاقًا بين دول، وإنما خطاب أرسله اللورد بلفور إلى شخص ليست له أي صفة للتعاقد رسميًا،

---

(١) المسلمون واسترداد بيت المقدس. محمد محمد الفحّام: صـ٢٨. ط/ مجمع البحوث الإسلامي.

وهو الصهيوني البريطاني «اللورد رتشيلد»[١].

٢) عند صدور هذا الوعد (١٣٣٦هـ / ١٩١٧م) لم تكن فلسطين أرضًا، أو مملكة، أو محمية بريطانية، بل كانت ولا تزال جزءًا من ولايتي دمشق وبيروت العربيتين في الدولة العثمانية، وبريطانيا لم تكن في ذلك، ولا قبله تملك أي حق من حقوق السيادة في فلسطين حين تستند إليه في منحها، أو تسوغ بموجبه تصرفها العدواني بجعل فلسطين وطنًا قوميًا ليهود العالم، وعليه فإن الوعد باطل من وجهة نظر القانون الدولي، ولا يشكل إلا مجرد وعد فردي.

٣) وعد بلفور ملغي بمقتضى عهد عصبة الأمم المتحدة، فقد نصت المادة الثانية من عهد العصبة الذي وقعته بريطانيا بصفتها عضوًا ومؤسسًا في تكوين عصبة الأمم المتحدة على اعتراف الدول الأعضاء في العصبة ببطلان كل معاهدة، أو اتفاق، أو عهد سابق ارتبط به الأعضاء قبل تأسيس العصبة، وكان موضوعه يتنافى مع مبادئ عهد العصبة أو نصوصه.

وكان عهد العصبة يقوم في الدرجة الأولى على احترام حق الشعوب بالاستقلال، وتقرير المصير، وكانت مبادئه الأساسية تنص على احترام قواعد القانون الدولي، ومبادئ الحق والعدل وقيم الأخلاق والإنسانية[٢].

ثانيًا: صك الانتداب :

إن الحجة القانونية الثانية التي يتذرع بها اليهود هي «صك الانتداب

(١) فلسطين والمزاعم اليهودية صـ١٤٥.

(٢) القضية الفلسطينية، صلاح الدباغ: صـ٦٤، فلسطين والمزاعم اليهوديّة: صـ١٤٦.

البريطاني» على فلسطين الصادر عن عصبة الأمم في (١٩٢٢م)، والذي ينص على مطالبة بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور، والعمل على إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وهذه الحجة باطلة لأسباب، هي:

١) أن صك الانتداب على فلسطين يخالف المبدأ الأساسي الذي قامت عليه عصبة الأمم المتحدة، وهو حق تقرير المصير، فعلى الرغم من إقرار مجلس الحلفاء لهذا المبدأ الأساسي وإثباته في عهد عصبة الأمم عام (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م)، فإن العصبة تجاهلت هذا الحق كليًّا بالنسبة لفلسطين، وتجاهلت كل النداءات، والقرارات، والمؤتمرات، والاستفتاءات التي عبر بواسطتها شعب فلسطين عن إرادته في مستقبله وتحديد مصيره[١].

٢) إن صك الانتداب على فلسطين مخالف بشكله وموضوعه لعهد عصبة الأمم، ومبادئه، ومناقض بأهدافه، ووسائله لنظام الانتدابات، ولأحكام المادة (٢٢) من عهد العصبة، والتي تنص على: «أن بعض الجماعات التي كانت من قبل تابعة للدولة العثمانية قد وصلت من الرق إلى درجة يستطاع معها الاعتراف بقيامها بصفة أمم مستقلة، وتقوم عليها دولة منتدبة إلى أن تصبح قادرة على الوقوف وحدها، واختيار رئيس لها»[٢].

---

(١) العدوان الصهيوني والقانون الدولي، شفيق الرشيدات: صـ١٣٠.

(٢) فلسطين والمزاعم اليهوديّة: صـ١٤٧.

- **المطلب الثاني:قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية، ودولة يهودية، ومنطقة دولية الصادر في ١٩٤٧م**

وهذا هو المستند الثالث لليهود في ادعائهم ملكية فلسطين، وهو باطل لأسباب؛ هي:

١) بالنسبة لتجاوز قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين دون نظام أو وصايا دولية، فإن الفقرة: (٢) من المادة (١) من ميثاق الأمم المتحدة أكدت على: «أن مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها هو إنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية بين الشعوب، وبأن يكون لكل منها حق تقرير المصير».

٢) بالنسبة لعدم صلاحية الأمم المتحدة لإصدار هذا القرار المتعلق بتقسيم فلسطين كان يجب على الأمم المتحدة أن تعالج القضية المطروحة أمامها استنادًا إلى أحكام ميثاقها، فإما أن تقرر فورًا الاعتراف بحق شعب فلسطين بتقرير مصير طبقًا للمادة الأولى من الميثاق، وإما أن يقرر وضعها تحت نظام الوصايا الدولية بمقتضى أحكام المادة (٦٧) من الميثاق ذاته، غير أن الأمم المتحدة استبعدت أيًّا من الحلين الصحيحين، ولجأت إلى تأليف لجنة للتحقيق في شأن قضية فلسطين، وأسفرت اللجنة عن أغلبية (٣٣) صوتًا مع التقسيم، و١٣ صوتًا ضد التقسيم، وامتنعت ١٠ دول عن التصويت[١].

---

(١) العدوان الصهيوني: صـ٤٣.

٣) لم يكتب هذا القرار صفته النهائية القطعية بالتقسيم وإجراءات الأمم المتحدة، بل إنه قرار ملغي من قبل مجلس الأمن والجمعية العمومية ذاتها، فكان قرار مجلس الأمن رقم ٢٧١ بتاريخ ١٩/ ٣/ ١٩٨٤م، وقرار الجمعية العمومية الثاني بتاريخ ١٤/ ٥/ ١٩٨٤م إلغاءً صريحًا لمشروع تقسيم فلسطين[١].

٤) «مرور الزمن لا يكسب إسرائيل مسوغًا يؤكد ملكيتها لفلسطين»، إن مرور الزمن المكسب لم يقرَّ بصورة كاملة؛ لا في القانون، ولا في الواقع، ولا يعطي لإسرائيل حقًّا في ملكيتها لفلسطين، ثم إن إسرائيل لم تحترم ولم تنفذ قرار الأمم المتحدة ١٩٤٧، ويؤيد ذلك العدوان الغاشم في يونيو ١٩٦٧م، الذي يدل فعلًا على الاغتصاب، والقوة، والعدوان، وليس على مقاصد ومبادئ الأمم المتحدة، أو الشرعية الدولية[٢].

- **المطلب الثالث: قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن بشأن فلسطين**

صدرت قرارات عديدة عن هيئة الأمم المتحدة تدين احتلال اليهود للأراضي العربية بما فيها فلسطين، وبشكل خاص القدس، وضمها لها عام ١٩٦٧م، فعلى سبيل المثال ما بين عامي (١٩٤٩) و(١٩٦٤)م أصدر مجلس الأمن سبعة وسبعين قرارًا بإدانة إسرائيل.

أولًا: قرارات الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة:

١) قرار رقم ٢٢٥٣ بتاريخ ٤ يونيو ١٩٦٧م، ونصه: «دعوة إسرائيل إلى

---

(١) القضية الفلسطينية، صلاح الدباغ: صـ٢٤.

(٢) فلسطين والمزاعم اليهودية: صـ٣٢٨.

إلغاء التدابير المتخذة لتغيير وضع مدينة القدس، والامتناع عنها في المستقبل».

٢) قرار رقم ٢٢٥٤ في ١٤ مايو ١٩٦٧م الجلسة الاستثنائية، ونصه: «إبداء الأسف للتدابير التي اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع مدينة القدس، إن الجمعية إذ تحيط علمًا مع أشد الأسف وأبلغ الأسى عدم التزام إسرائيل بالقرار رقم ٢٢٥٣»[١].

٣) قرار رقم ٢٥٤٦ أغسطس ١٩٦٩م، ونصّه: «إدانة انتهاكات حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، والطلب إلى إسرائيل الكف عن إجراءاتها القمعية»[٢].

٤) قرار رقم ٢٨٥١ في ٢٠ أغسطس ١٩٧١م، ونصه: «مطالبة إسرائيل بشدة بأن تلغي جميع الإجراءات لضم واستيطان الأراضي».

٥) قرار رقم ٣٤١٤ عام ١٩٧٥م، ونصه: «الحظر من احتلال الأراضي، أو اكتسابها باستخدام القوة، والتي تعتبر أي احتلال عسكري لهذه الأراضي، ولو كان مؤقتًا، أو أي ضم لها أو لجزء منها بالقوة، عملًا من أعمال العدوان».

٦) قرار رقم ٢٣/ ٥ عام ١٩٧٧م، ونصه: «الإجراءات الإسرائيلية في الأراضي العربية مخالفة لأحكام الأمم المتحدة».

٧) قرار رقم ٣٢ / ٢٠ في ٢٥ نوفمبر عام ١٩٧٧م، ونصه: «تدين

(١) قرارات الأمم بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي ١٩٤٧م: صـ٢١٠.

(٢) قرارات الأمم بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي: صـ٩٢.

الجمعية استمرار احتلال إسرائيل للأراضي العربية».

٨) قرار رقم ٧ / ٢ عام ١٩٨٠م، ونصه: «مطالبة إسرائيل بالبدء في الانسحاب قبل ١٥ مايو ١٩٨٠م من جميع الأراضي العربية المحتلة ١٩٦٧م».

٩) قرار ٣٧/ ٨٦ في عام ١٩٨٢م، ونصه: «الدعوة إلى الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الأرض العربية المحتلة منذ ١٩٦٧م، وإلى ممارسة الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره، وإقامة دولة مستقلة»[١].

إلى غير ذلك من قرارات الجمعية العامة التي تطالب إسرائيل بالرجوع إلى حدود ١٩٦٧م وإدانتها ممارستها العنيفة والوحشية على الشعب الفلسطيني وأرضه.

ثانيًا: قرارات مجلس الأمن

١) قرار ٢٤٢ في ٢٢ عام ١٩٦٧م، ونصه: «إقرار مبادئ سلام شامل وعادل دائمين في الشرق الأوسط، وعدم جواز الاستيلاء على الأرض عن طريق القوة، ونص على عروبة القدس».

٢) قرار ٢٥٢ في ٢١/ ٥/ ١٩٨٦م مجلس الأمن، وينص على: «بطلان جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية، وجميع الأعمال التي قامت بها إسرائيل بما في ذلك مصادرة الأراضي والأملاك التي غيرت الوضع القانوني في القدس».

---

(١) قرارات الأمم بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي: صـ ١٠٥-١٢٥، عام ١٩٧٧م: صـ ١١، وقرارات عام ١٩٨٠: صـ٣، وعام ١٩٨٢ م: صـ٤٨.

٣) قرار رقم ٢٧١ في عام ١٩٦٩م مجلس الأمن، ونصه: «إدانة إسرائيل لتدنيس المسجد الأقصى، ودعوتها إلى إلغاء جميع الإجراءات التي من تغيير وضع القدس».

٤) قرار رقم ٤٧٨ في عام ١٩٨٠م، ونصه: «عدم الاعتراف بالقانون السياسي الذي أصدره الكنيست الإسرائيلي بشأن توحيد القدس الشرقية والغربية، وجعلها عاصمة موحدة لإسرائيل».

٥) قرار مجلس الأمن رقم ٤٤٦ في يناير١٩٧٩م، ونصه: «أن الممارسات الإسرائيلية لإقامة المستوطنات عقبة خطرة في وجه السلام في الشرق الأوسط، وليس لها أي مستند قانوني».

٦) قرار مجلس الأمن ٤٦٥ عام ١٩٨٠م، ونصه: «مطالبة إسرائيل بتفكيك المستوطنات القائمة والتوقف عن تخطيط وبناء المستوطنات في الأرض العربية المحتلة بما فيها القدس»(١).

- **المطلب الرابع: أسباب مخالفة اليهود لقرارات الأمم المتحدة وعدم تنفيذها**

يرجع ذلك إلى:

١- العداء الغربي للإسلام: قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[البقرة: ١٢٠].

---

(١) قرارات الأمم بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي: صـ٤٤، قرارات عام ١٩٨٠م: صـ١٢.

٢-سيطرة اليهود على العالم الغربي سياسيًّا وماديًّا وإعلاميًّا، لا سيّما الولايات المتحدة.

٣-سوء نية اليهود المصممة على رفض الانصياع إلى قرارات المنظمة العالمية حتى قرار التقسيم، وكذلك قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومجلس الأمن.

٤-تقاعس منظمة الأمم المتحدة في تنفيذ قراراتها ضد إسرائيل، وكل ذلك يرجع إلى تحكم الدول الكبرى في وضع هذه القرارات وتنفيذها، وأهمها الولايات المتحدة التي تستخدم هذه المنظمة الدولية (منظمة الأمم المتحدة) لمساندة ودعم اليهود.

٥-تفرق الأمة الإسلامية وتشرذمها؛ الأمر الذي أفقدها عزتها وهيبتها بين دول العالم، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

المبحث الرابع
مناقشة ادعاء اليهود أرض الميعاد من الجانب الأثري

- **تمهيد**

يحاول اليهود منذ أن احتلوا القدس -بل وقبلها- أن يعثروا على أي أثر يدل على مكان الأقصى والصخرة، وشارك في مراحل الحفريات التي مارستها إسرائيل علماء أثريون استقدمتهم إسرائيل، وذلك في المرحلة التاسعة من مراحل الحفريات عام ١٩٨٦م، وعلى رأسهم العالم الأثري

القسيس المسيحي (برجيل بكسنز)، وأجرى علماء الآثار بحوثهم، ودراستهم على منطقة المسجد ألقى ودوّن الباحثون نتائجهم على المنطقة في صورة موجزة للعصور الأثرية الناتجة عن الحفريات، فكانت دراسات لجان الآثار على النحو التالي:

- **المطلب الأول: العصر البرونزي والعصر الحثي والعصر الحديدي المتأخر**

١-العصر البرونزي، ويبدأ من ١٤٠٠ ق.م إلى ١١٠٠ ق.م: لم تكشف لنا الحفريات عن بقايا نقود تعود إلى تلك الحقبة، وأرّخ بعض الباحثين الآبار على أساس أنها كانت مقابر أثرية تعود إلى تلك الحقبة نعتبرها شاهد نفي لما قيل حول الهيكل الأول.

٢-العصر الحثي من ١١٠٠ ق.م إلى ٩٧٧ ق.م: إن الحفريات الأثرية لم تقدم أي دليل علمي يدعم طرح قصة (أرونة اليبوسي)، ولم يكن هناك وجود لقصة مالكي صادق الذي ولد في العهد القديم والحفريات دلت على القدس في العصر الحثي والتي كان اسمها إريانة.

٣-العصر الحديدي ٩٧٧ ق.م إلى ٧٢١ ق.م: المساحة الأثرية والحفريات والدراسات التي تمت في منطقة المسجد الأقصى لم تقدم أي دليل على وجود بقايا حجرية يمكن إرجاعها إلى تلك الحقبة الحضارية، والتعريف الدقيق لتلك الحقبة ما ذكره (حزقيال) أحد أبناء اليهود حينما سئل عن تعريف القدس، فقال: ولادتك ونسلك كنعانية، أبوك أموري، وأمك حثية، وكانت فترة حكم داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وبعدهما عهد

القضاة إلى نهاية المملكتين يهوذا وإسرائيل.

٤-عصر ما بين ٧٢١ ق.م حتى ٥٨٦ ق.م: تمّت سيطرة الآشوريين على فلسطين وتدمير السامرة ومحاصرة القدس، وفي عام ٥٨٦ ق.م هاجم (بختنصر) المدينة ودمرها، وسبى أهلها، والحفريات والأثريات والمسوحات لم تقدّم دليلًا على وجود بقايا تدعو إلى تلك الفترة داخل منطقة المسجد الأقصى مما يدل على أن موقع القدس قد كان خارج حدود منطقة المسجد، وموقع المدينة يقع في نزلات وادي القدرون.

٥- عصر ما بين ٥٨٦ق.م حتى ٣٢٠ق.م تمّ احتلال الفرس والرومان وفيها أخمدت ثورات عدة لليهود، حين كان معظمهم في أرض بابل.

- **المطلب الثاني:العصر اليوناني وعصر المكابيين[1]والعصر الهيرودي (٣٢٠ ق.م-٧٠م)**

١-العصر اليوناني في القدس ٣٣١ ق.م – ١٤٧ ق.م: الوقائع الأثرية دلت على وجود حي يوناني أقيم في القدس وسُمّي بالأكرى؛ أي: (القدس العليا)، كذلك فإن جزءًا من هذه الأنفاق التي تم حفرها في القدس هي يونانية النمط.

٢-عصر المكابيين أو الحشمونائيين من ١٤٧ ق.م إلى ٦٣ ق.م:

---

(١) المكابيون: الحسمونيون من حسمون أبي جد متاثياس من أبناء يهوياريب، ولقب يهوذا بن متاثياس مكابيوس، ثم صار هذا اسماً لجميع الاسرة، وأخيراً لكل الحزب الذي تكوّن نتيجة لظلم السلوقين. قاموس الكتاب المقدس صـ٢١١.

خلط علماء الآثار الإسرائيليون بين النمط اليوناني في القدس، ونمط المكابية، ولقد ظهرت هذه التسمية (المكابية) بعد اليونانية والبطالمة والسلوقية حيث أرّخوا اليونانية، وكأنها مكابية.

٣-العصر الهيردوي ٦٣ ق.م إلى ١٣٧م: اهتم هيرودس ببناء المعابد الرومانية، ومباني الحكومة مثل نظام البيزليكا التي بناها في سبسطية، وكان وقت زكريا ويحيى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وفي عام ٧٠م قام القائد الروماني بالهجوم على القدس، وقد سواها بالأرض، ويذكر اليهود أن طيطس قد دمر الهيكل الذي بناه هيرودس، وفي عام ١٣٧م قام اليهود بتمرد وثورة على الرومان، فقضى (هادريان أدريناس) على هذه الفتنة، ودمر المدينة، ثم قام ببنائها مرة ثانية وسماها (إيليا كابيتلينا)، هذه العصور تركت بعض البقايا الأثرية في منطقة المسجد الأقصى جميع هذه البقايا نفت وجود هيكل القدس أو أي نمط معماري يهودي يوجد في منطقة المسجد الأقصى بشهادة الآثار والحفريات.

٤- عصر هيمنة اليهودية والنصرانية على بيت المقدس من ١٣٧م حتى الفتح الإسلامي ٦٣٨م وما بعده حتى العهد الأموي والعباسي ٧٥٠م:

بقي بيت المقدس تحت هيمنة المسيحية منذ أن احتلها الرومان حتى زمان هرقل الحاكم الروماني ٦١٠-٦٤١م، حتى جاء الفتح الإسلامي سنة ٦٣٨ وقت خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهكذا أغلق التاريخ ملف بني إسرائيل من يهود ونصارى فيما يتعلق بحيازة تلك الأرض المباركة ووراثتها؛ لتنتقل الأرض والمعبد بعد ذلك إلى حيازة ووراثة وصبغة الأمة الإسلامية، وارثة

الرسالات وحامية المقدسات بعد أن أسري بالنبي الخاتم محمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إيذانا ببدء العهد الإسلامي للأرض المقدسة(١).

- **المطلب الثالث: العصر (العباسي – الفاطمي– الصليبي – الأيوبي – العثماني)**

١ – العصر العباسي ٧٥٠م حتى ٨٧٨ م: أثبتت التواريخ والأثريات أنه في فترة العصر العباسي كان المسجد الأقصى مدمرًا، حيث ضربته هزة أرضية في عام ٧٤٧م، وقام الخليفة المهدي بأول محاولة لترميمه عام ٧٨٠م، واستمرت الحضارة العباسية بأعمال الترميم والصيانة في القدس والمسجد الأقصى حتى عام ٨٧٨م، عندما قامت الدولة الفاطمية.

٢-العصر الفاطمي من ٨٧٨ إلى ١٠٩٩م: نجد في سجلات الفاطميين كثيرًا من المعلومات المهمة عما أنجزه الفاطميون في منطقة المسجد الأقصى، وفي عام (١٠٢٢م-١٠٢٣م) تم ترميم مناطق عديدة في منطقة المسجد الأقصى، والصخرة الشرقية بعد الهزة الأرضية التي ضربت القدس، وكنيسة القيامة.

٣-العصر الصليبي من ١٠٩٩م حتى ١١٨٧م: احتل الصليبيون القدس، وحولوا موقع المسجد الأقصى إلى مقر للملك (فريدريك)، والصخرة حولت كذلك إلى الكنيسة، والمصلى المرواني حول إلى إسطبل، وكذلك

---

(١) من كتاب المسجد الأقصى وقبة الصخرة –التاريخ –الأنفاق – الحفريات – الأثريات. طاهر النمري: صـ١٤-١٦

أصبحت مناطق عديدة مقرًّا لفرسان الهيكل، وفي عهد الأيوبيين أعاد صلاح الدين مرافق المسجد والقبة بعد تحريرهما إلى واقعهما الإسلامي، بعد ذلك بدأت العمارة الأيوبية تشهد تطويرًا معماريًا أبرز نمطًا خالصًا.

٤-**العصر الأيوبي ١٢٥٠م-١٥١٦م**: لم تشهد القدس تطويرًا معماريًا في تاريخها أكثر مما شهدته في هذا العصر.

٥-**العصر العثماني ١٥١٦م-١٩١٧م**: زار السلطان سليم القدس، وكلف ابنه سليمان القانوني بتأهيل المدينة بما فيها منطقة المسجد الأقصى، وبقيت القدس تحت الخلافة العثمانية حتى عام (١٨٣٢م-١٨٤٠م)، وعندما استولى عليها محمد علي وابنه إبراهيم باشا، وأصبحت تحت الحكم المصري -ما بين (١٨٦٤م) و(١٩٠٢م) بدأت أعمال البحث العلمي في القدس عبر تلك الموجات التي تدفقت إلى القدس، فنتج عنها مسميات كثيرة ومتعددة تمت في القدس من أجل الحصول على معلومات تطابق تلك التي ذكرت في كل من التلمود والمشناه.

- **المطلب الرابع: عصر الانتداب البريطاني ١٩١٧م**

من أهم الأحداث التي برزت هي تلك الأعمال التي قام بها علماء المدرسة البريطانية في الآثار في منطقة المسجد الأقصى، ومنهم: (هاملتون) الذي عمل في موقع المسجد الأقصى بعد الهزة الأرضية التي ضربت القدس والأقصى عام ١٩٢٧م، وبشهادة من عالم الآثار الإسرائيلي البروفيسور (يورام سفريس) ذكر أن الحفريات التي أجراها في عام ١٩٨٦م

عندما زار هذه المنطقة المسجد الأقصى والصخرة لم تقدم أي شيء مثير يدلل على أهمية ما تم اكتشافه.

والأمر الوحيد الذي يمكن اعتباره حدثًا هامًّا هو تلك الآثار البيزنطية التي تم اكتشافها والتي تعود إلى حقبة متقدمة، فهي تحت الزاوية الجنوبية الشرقية من منطقة الأقصى، وذكر ويلسون الذي قام بأعمال المساحة في القدس عام ١٨٦٦م، أنه في الزاوية الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصى وجد درجًا يؤدي إلى جامع صغير حيث يوجد نمط سريري (سرير عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) مع وجود قوس روماني خلف يدي السرير، وفي جنوب هذا القوس يوجد محراب مريم، واثنان آخران يظهران في الواجهة الشرقية، وكذلك يوجد مقام لكل من يحيى وزكريا عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وقد بُني المسجد من بقايا ردم معماري كان موجودًا في المنطقة، ومعظم بقاياه المعمارية التي وجدت في المسجد لا تشكل وحدة معمارية متجانسة.

وإتمامًا لشهادات علماء الآثار بأنه لا يوجد أي أثر من هيكل سليمان نضيف شهادة واحد من كبار المؤرخين، وهو الأمريكي (ول ديورانت) في موسوعته (قصة الحضارة) حيث يقول: «على أن هذا الصرح الضخم لم يبق منه حجرٌ واحد، بل إن موضعه نفسه لا يعرفه أحد على وجه التحقيق»[١].

---

(١) من كتاب المسجد الأقصى وقبة الصخرة –التاريخ –الأنفاق – الحفريات – الأثريات. طاهر النمري: صـ١٤-١٦

نتائج البحث

بقليل من التأمل في هذا البحث تنجلي الكثير من الحقائق، نجملها فيما يلي:

١- أن اليهود قد حرفوا ما في التوراة من تعاليم، وحرفوا نصوصها بغية الاستيلاء على أرض فلسطين وغيرها.

٢- حذف ما جاء عن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بخصوص الوعد، مع أنه الابن البكر.

٣- أن ما في التوراة عن حدود أرض إسرائيل قد تلاعبت به العقول، وحرفته أيديهم على امتداد سبعة قرون.

٤- اعتقاد اليهود بأن الله قد أمرهم بإزهاق الأرواح، وسفك الدماء في سبيل تحقيق ما فيه مصلحة بني إسرائيل دون العالمين.

٥- تزوير اليهود لحقائق التاريخ القديم لتتمشى مع أطماعهم وأحلامهم، باسم تفويض الرب إياهم، أو اختياره لهم.

٦- أن فكرة إقامة دولة يهودية، أو مملكة إسرائيلية راودت عقول يهود السبي البابلي، فحرفوا وبدلوا النصوص؛ لتوافق خيالهم المريض.

٧- أنه لا حق لليهود تاريخيًّا في فلسطين، يشهد بذلك ما يلي:

أ- أن إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وبنو إسرائيل الأول (الأسباط)، كانوا طارئين عليها، وقد عاشوا فيها غرباء.

ب- أن الوجود اليهودي في فلسطين لم يزد على أربعة قرون، وهي فترة لا تحسب شيئًا في عمر الزمن.

ج- أن اليهود قد تعرضوا للإبادة (القتل والأسر) على أيدي الكثير من الأمم المجاورة كالآشوريين، والمصريين، والبابليين، وأخيرًا على يد الرومان الذين لم يبقوا في المدينة من اليهود أحدًا.

د- أن الوعد الإلهي (من النيل إلى الفرات) الذي ادّعوه لم يكتب له التحقيق، والتنفيذ طوال التاريخ من إبراهيم حتى سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، بل حتى إلى عصرنا هذا، وإذا كان النص الأصلي صحيحًا فإن الوعد تحقق بنبي الإسلام وسيد الأنام محمدٍ ﷺ وبأفضل الأمم؛ المسلمين، وأي قول خلاف ذلك يدل على أن الوعد مكذوب وغير صحيح.

ه- أن العهد أو الوعد الذي قطعه الرب مع أبرام هو الختان بنص التوراة التي بين أيديهم.

٨- أن المطامع الصهيونية لا تقف عند حدود أرض فلسطين، بل تتطلع دومًا إلى قيام دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

٩- شدة التشابه بين مملكة بيت المقدس الصليبية، والكيان الصهيوني (دولة إسرائيل)، فقد قامت كل منهما على عقيدة الأرض الموعودة، وفكرة الخلاص.

١٠- أن الصهيونية الحديثة لا تمثل الديانة اليهودية، بل هي نزعة سياسية استعمارية عنصرية تتخذ من التعاليم الدينية قناعًا للتمويه والتضليل.

١١- أن اليهود المعاصرين هم شراذم يهود العالم تخلّص منهم أبناء أوربا، فألقوا بهم في الشرق الإسلامي؛ ليمتصوا جهود العرب والمسلمين، وليشعلوا الفتن، ويفجروا القلاقل وفقًا لما رسمه الغرب من

خطط المؤامرة في العصر الحديث.

١٢- لا صلة ليهود العصر الحديث ببني إسرائيل؛ لأن دعوى هؤلاء الصهاينة بأنهم أحفاد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فضلًا عن دعوى نقاء دولتهم، واختيار سلالتهم عبر التاريخ هو ضرب من الخيال.

١٣- أن قداسة أرض فلسطين لم تكن لارتباطها بصهيون، أو علاقتها بالمسيح يسوع، بل لأنها منبت عقيدة التوحيد، ومن ثم طهارتها من مظاهر الشرك والوثنية، علمًا بأن هذه الطهارة ممتدة إلى يوم القيامة.

١٤- أن الوعد الإلهي بالإرث والتمكين في هذه الأرض المباركة من ثمرات الإيمان الصحيح، وقد تحقق لهذه الأمة الخاتمة.

١٥- أن ملكية المسلمين لهذه الأرض المقدسة حق مشروع بمقتضى إيمانهم بالرسالة الخاتمة؛ لإقامة دين الله فيها من جهة، والحفاظ على ميراث الأنبياء المسلمين السابقين من جهة أخرى يشهد بذلك التاريخ، والقرون الماضية.

أهم المراجع

- كتب التفسير والحديث.
- الكتاب المقدس. ط/ دار الكتاب المقدس ١٩٧٥.
- إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة. إبكار السقاف. ط/ مكتبة مدبولي ١٩٦٧ م.
- القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث-كارين أرمسترونج ترجمة فاطمة نصر، محمد عناني. ط/ سطور١٩٩٨م.
- أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة. د/ محمد بيومي مهران. ط/ جامعة الإسكندرية ١٩٩٨م.
- الدولة اليهودية. تيودور هرتزل، ترجمة: محمد يوسف عدس.ط/ دار الزهراء ١٩٩٤م.
- تاريخ القدس. عارف باشا العارف. ط/ دار الخيال بيروت.
- تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم المتحدة ١٩٣٠م بشأن الحق العربي في حائط المبكى في القدس. ط/ مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٦٨م.
- المسجد الأقصى وقبة الصخرة. العمارة والأنفاق والحفريات والأثريات. د/ إبراهيم الفني ط/ دار الشروق٢٠٠٠م.

۞ فلسطين والمزاعم اليهودية. أسماء عبد الهادي فاعور. ط/ دار الأمة ١٩٩٥م.

۞ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي.

۞ عقيدة اليهود في تملك فلسطين وتفنيدها عابد توفيق الهاشمي.ط/ أم القرى السعودية د.ت.

۞ اليهودية. د/ أحمد شلبي. ط/ النهضة المصرية ١٩٨٨ م.

۞ قبل أن يهدم الأقصى. عبد العزيز مصطفى كامل. ط/ دار طيبة الرياض.

۞ حمى سنة ٢٠٠٠م. عبد العزيز مصطفى كامل، ط/ المنتدى الإسلامي.

فهرس البحث